نقض قواعد التشبيه

من أقوال السلف ن قالوا بالإمرار والتفويض والت يه

إعداد

د. عمر بن عبدا كامل

كلمة الناشر

بسم ا الر ن الرحيم

ا مد رب العا ، والصلاة والسلام على أشرف ا رسل سيدنا مد وعلى آله وصحبه أ ع .

وبعد:

فإن دار ا صطفى قد أخذت على عاتقها ل وم ا سلم ، ومناقشة ما س أمور دينهم، و الذروة منها ما س عقيد م وخاصة جانب الذات الإ ية ا قدسة.

ومن هنا فنحن نشرف اليوم بتقد هذا الكتاب ا بارك للعا السلفي ا خلص الغيور على دينه الناصح لأمته الدكتور/ عمر عبد ا كامل وفقه ا للصواب ونشر ا على يديه.

و ا مد الأو و الآخرة

دار ا صطفى

بسم ا الر ن الرحيم

مقدمة

ا مد فاطر السموات والأرض، رب كل شيءٍ ومليكه، نصب لموقاته أدلة على توحيده وشاهد على صفاته.

وأصلي وأسلم على أشرف ا خلوقات وأزكاها سيدنا مد الداعي إ ربـه بإذنـه وا ادي إ صراطه ا ستقيم.

وبعد:

فإن الكلام على الذات الإ ية ا قدسة هو أساس ولب العقائد و ا يرتفع بنيان الـدين كله، ودين ا واحد وهو الإسلام.

فما ضلّ قوم من الأقوام و تنشأ ملة من ا لل ا خالفة إلا بعـد ظهـور ا لـ عقيد م وخاصة صفات الذات الإ ية، والتغاضي عن هذا ا لل والتقاعس عن علاجه أوصل الأقوام الضالة –فيما سبق من الأزمان- إ الانسلاخ كلية عن الإسلام، فتعددت ا لل و سبون أ م مهتدون.

ومن هنا سيظل الناس تاج إ رير العقائد الدينية وإزاحة ا بث الناشـئ عـن ا طأ والالتباس أو ا وى ووسوسة الشيطان حـ قيام الساعة.

و مده سبحانه أن جعل أمة رسوله لا تمع على ضلالة الفروع فضلا عن العقائد وكذا هور الأمة لا يضل طريقه فهم أصول العقائد والتمسك ا، قَدِين ا فـوظ بفضله سبحانه وتعا .

هذا الكتاب رد تصر على أهم ما ورد من أفكار – وكذا ا نطلقات الـ بنيـت عليها- الكتاب ا وسوم بـ « الرسالة التدمرية » وا نسوب للشيخ ابن تيمية وكـل يؤخذ من كلامه ويرد، خاصة وأن هذه الأفكار والآراء تعارض ما يعتقده هور الأمـة ا عصومة وهنا مكْمن ا طر.

موضوع الرسالة التدمرية:

ذكر الشيخ أنه كتب هذه الرسالة جوابًا على سؤال وجهه إليه ناس من تدمر بالشام فكانت جوابا م.

وهو يتكلم فيها عن **التوحيد والصفات** و **الشرع والقدر** كما نص عليه أو ا، وذكر سبب دفعاه إ هذا الكلام و ا:

أولاً: أ ية هذه الأصول وهذا صحيح نوافقه عليه.

ثانيًا: كثرة ا ائض فيها بالباطل، وهذا ل البحث.

فقد تركنا ﷺ على ا جة البيضاء ليلها كنهارها، وا ق أوضح من أن فى، وقد قام علماء السنة وا ماعة – هور الأمة- بتوضيح تفاصيل مسائل العقائد جيلاً بعد جيـل من عهد الصحابة وإ اليوم بفضله سبحانه.

وقد انتشرت آراء وأفكار كث ة تنسب للشيخ ابن تيمية ـالف هـور الأمـة العقائد وغ ها وليس هذا من كب بأس إذا استمع الناس إ هذه الآراء مع استماعهم لآراء هور الأمة وأدلتها لأن إفراد الآراء ا خالفة للجمهور بالاستماع والتداول علـها كا سلّمات.

فنحن ندعو من تشكك عقائد هور الأمة من أهل السنة وا ماعة أن يعيد طرح هذه ا سلّمات للمناقشة ويضعها على بساط البحث فالكثرة تفيد ظن الصواب عند توارد الشك، وإن كانت العقائد لا تب على الظنون، لكنه سبب كاف لإعادة النظر والبحث.

وقد نبنا هذا الكتاب قدر ا ستطاع مصطلحات علم الكلام وكذا حاولنا تبسيط الأفكار قدر ا ستطاع مع التركيز على أساسيات مهمة دم هذا ا وضوع مثـل عجـز العقل عن إدراك حقيقة الذات الإ ية، وكذا أسباب ضلال ا لل ا خالفة وكذا أهل البدع العقائد، بالإضافة إ ا از... إ ، ا ثله هذه الأساسيات والركائز من أ ية لفهـم موضوع الصفات الإ ية[1].

ونظرًا لأن هذا ا وضوع (موضوع الكلام على الذات الإ ية) هـو ـرة مقـدمات أساسية ينبغي أن تكون ل اتفاق قبل الدخول فيه ح لا يتشعب الكلام غ طائل، فقد قدمنا ب يدي الكتاب هيدًا يشتمل على بيان أن:

أ- خطورة التشبيه ومنابعه.

---

(1) هذا الرد على هذه القواعد ربطناه بأدلة الت يه من أصول الدين وأقوال السلف الصا ح يكون ردًا مبـسطًا قدر ا ستطاع، أما من أراد ردًا موسعًا ومفصلاً مع ذكر كلام العلماء ا تخصص علم الكلام فله الرجوع لرد الأستاذ سعيد فوده ا سمى (نقض الرسالة التدمرية).

ب- عجز العقل البشري عن إدراك أو تصور حقيقة الذات الإ ية.

ج- ت يه ا و سبحانه وتعا عن مشا ة و اثلة خلقه.

د- كيف نفهم الصفات الإ ية.

هـ- ا از ودوره فهم النصوص.

و- أقوال الصحابة والتابع والأئمة الدالة على الت يه.

ز- أمثلة على تأويل علماء الأمة للنصوص.

وا أسأل أن عل هذا العمل خالصا لوجهه الكر ، وأن ينفع به القارئ والكاتـب والسامع إنه يع قريب يب.

عمر عبدا كامل

القسم الأول

مقدمات

« مقدمات أساسية لفهم موضوع الصفات الإ ية »

الأو : خطورة التشبيه ومنابعه.

الثانية: بيان عجز العقل البشري عن إدراك أو تصور حقيقة الذات الإ ية.

الثالثة: ت يه ا و عز وجل عن مشا ة و اثلة خلقه.

الرابعة: ضوابط فهم الصفات الإ ية.

ا امسة: ا از اللغة ودوره فهم نصوص الكتاب والسنة.

السادسة: أقوال الصحابة والتابع والأئمة الدالة على الت يه.

السابعة: أمثلة على تأويل علماء الأمة للنصوص.

مقدمات

أساسية لفهم الصفات الإ ية

هذا التمهيد توي على سبع مقدمات أساسية لفهم موضوع الصفات الإ ية ومدى خطورة التشبيه ا دعا إ طرح هذا ا وضوع:

الأو : خطورة التشبيه ومنابعه:

أ- نصوص الكتاب والسنة   أن التشبيه شرك.

ب- منابع التشبيه وأسبابه.

الثانية: بيان عجز العقل البشري عن إدراك أو تصور حقيقة الذات الإ ية.

الثالثة: ت يه ا و عز وجل عن مشا ة و اثلة خلقه فهو سبحانه: ﴿ ليس كمثلـه شيء وهو السميع البص ﴾ .

الرابعة: ضوابط فهم الصفات الإ ية.

ا امسة: ا از اللغة ودوره فهم نصوص الكتاب والسنة.

السادسة: أقوال الصحابة والتابع والأئمة الدالة على الت يه.

السابعة: أمثلة على تأويل علماء الأمة للنصوص.

ولننتقل الآن إ مطالعة هذه ا قدمات:

مقدمات أساسية لفهم الصفات الإ ية

ا قدمة الأو

خطورة التشبيه ومنابعه

أ- نصوص الكتاب والسنة أن التشبيه شرك

روى البيهقي الأ اء والصفات بسنده قال: «عن ابن عباس رضي ا عنهما قال: إن اليهود والنصاري وصفوا الرب عز وجل فأنزل ا عز وجل على نبيه ﷺ ﴿ وما قدروا ا حق قدره ﴾ ب للناس عظمته فقال: ﴿والأرض يعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعا عما يشركون﴾ فجعل وصفهم ذلك شركا هذا الأثر عـن ابن عباس إن صح يؤكد ما قاله أبو سليمان ر ه ا » ا.هـ[٢]. وإسناده حسن.

وا قصود بوصفه هو يله وتصوره كا خلوقات ا سوسة لنا جسم ذو أبعاد وأجزاء كما هو ثابت كتبهم ا رفة وقد صح عن ابن عباس رضي ا عنهما تفس قولـه تعا : ﴿وما يؤمن أكثرهم با إلا وهم مشركون﴾ أ م هم الذين شـبهوا ا سـبحانه وتعا لقه، رواه الط ي عنه وسيأ بعد.

يقول السيوطي تفس الآية ﴿ وما قدروا ا حق قدره ... ﴾ الآية تفس ه (الدر ا نثور): « وأخرج ابن جرير وابن ا نذر وابن أ حا وأبو الشيخ العظمة عن سـعيد بن جبـ قال: تكلمت اليهود صفة الرب فقالوا ما يعلموه وما يـروه فـأنزل ا ﴿وما قدروا ا حق قدره﴾. وأخرج ابن أ حا عن ا سن قال: اليهود نظروا خلـق السماوات والأرض وا لائكة فلما زاغوا أخذوا يقدرونه فأنزل ا ﴿ وما قدروا ا حـق قدره ﴾ » أ.هـ.

وقد أخرج هذا الأثر أبو الشيخ كتاب العظمة بإسناد حسن و آخـره « .. ب عظمته للناس فقال ﴿والأرض يعاً ...﴾ الآية ، فجعل صفتهم ال وصفوا ا تبارك وتعا شركا[٣]» أ.هـ

وقال ابن عباس **قوله تعا :** ﴿وما يؤمِن أَكْثَرهم بِا ِإلا وهم مـشرِكُون﴾:

---

(٢) الأ اء والصفات للبيهقي، ص٣٣٩.

(٣) كتاب العظمة، أبو الشيخ، (٣٦٠/١).

«هم الذين شبهوا ا سبحانه وتعا لقه، يؤمنون به ملاً ويكفرون به تفصيلا » .

روت ذلك كتب التفس مثل تفس الط ي والـ رازي والقـ رط والنيـ سابوري والألوسي وغ ذلك.

وقال الألوسي بعد نقله كلام حـ الأمة ابن عباس: « ... وقد يقال نظراً إ مفهوم الآية: إ م من يندرج فيهم كل من أقر با تعا وخالقيته مثلا وكان مرتكبا مـ ا يعـ د شركا كيفما كان» أهـ .

وقد سبق نقل ما أخرجه البيهقي عن ابن عباس بسند حسن « إن اليهود والنصاري وصفوا الرب عز وجل ... » ا ديث، ويشهد لذلك أيضاً ما أخرجه ابن جرير الط ي تفس ه بسنده عن عكرمة – تلميذ ابن عباس – وقد سئل عن الآية الكر ة ﴿وما يؤمن أكثرهم با إلا وهم مشركون﴾ فقال: « هو قوله ﴿ولئن سألتهم من خلـ ق الـ سماوات والأرض ليقولن ا ﴾ **فإذا سئلوا عن ا وعن صفته وصفوه بغ صفته وجعلوا له ولـ داً وأشركوا به »** اهـ .

أخرج البزار عن أنس قال: « بعث رسول ا ﷺ رجلاً من أصحابه إ رجل مـ ن عظماء ا اهلية يدعوه إ ا تبارك وتعا ، فقال: إيش ربك الذي تدعو إليـ ه؟ مـ ن حديد هو؟ من اس هو؟ من فضة هو؟ من ذهب هو؟ فأتى الن ﷺ فأخ ه فأعاده الن ﷺ الثانية فقال مثل ذلك، فأتى الن ﷺ فأخ ه فأرسله إليه الثالثة فقال مثل ذلك، فـ أتى الن ﷺ فأخ ه فأرسل ا تبارك وتعا عليه صاعقة فأحرقته فقال رسول ا ﷺ : إن ا تبارك وتعا قد أرسل على صاحبك صاعقة فأحرقته فـ لت هذه الآية ﴿ويرسل الصواعق فيصيب ا من يشاء وهم ادلون ا وهو شديد ا ال﴾ »[٤].

ب- منابع التشبيه وأسبابه:

و كننا تتبع منابع التشبيه وكيفية تسربه إ عقائد البشر بعد الأجيـ ال الأو مـ ن ا وحدين (ن ا آدم وبنيه)، إذا تفحصنا ما عرضه حجة الإسـ لام الغـ زا لأقـ سام ا جوب عن ا تعا كتابه (مشكاة الأنوار) .

---

(٤) حديث صحيح ذكر ذلك ا افظ ابن حجر (تصر زوائد مسند البزار) وا افظ ا يثمي مع الزوائـ د كما أخرجه أيضاً الإمام ا افظ البيهقي بسند صحيح (الأ اء والصفات) وكذلك النـ سائي (الـ سنن الك ي) وأبو يعلى والط من طرق.

قال حجة الإسلام   كتابه (مشكاة الأنوار):

« القسم الأول: هم ا **جوبون حض الظلمة وهم ا لملاحدة** ... وهم أصـناف » وذكر أصنافهم...

قال حجة الإسلام:

القسم الثا : طائفة حجبوا بنور مقرون بظلمة وهم ثلاثة أصناف: صـنف منـشأ ظلمتهم من **ا س**، وصنف منشأ ظلمتهم من **ا يال**، وصـنف منـشأ ظلمتـهم مـن **مقايسات عقلية فاسدة**.

الصنف الأول: ا جوبون **بالظلمة ا سية** وهم طوائف ... »

قال: « الصنف الثا : ا جوبون ببعض الأنوار مقروناً **بظلمة ا يال**[5] **وهم الذين جاوزوا ا س وأثبتوا وراء ا سوسات أمراً، لكنهم كنهم اوزة ا يال فعبـدوا موجوداً قاعداً على العرش وأخسهم رتـبة ا سمة، أصناف الكرامية بأ عهم**، ولا كن شرح مقالا م ومذاهبهم فلا فائدة للتكث ، **ولكن أرفعهم درجة من نفى ا سمية و يع عوارضها إلا ا هة ا خصوصة هة فوق لأن الذي لا ينـسب إ ا هـة ولا يوصف بأنه خارج العا ولا داخله يكن عندهم موجوداً، إذ يكـن متخـيلاً و يدركوا أن أول درجات ا عقولات اوز النسبة إ ا هات وا يزة**.

قال: « الصنف الثالث: ا جوبون بالأنوار الإ ية مقرونة قايسات عقلية فاسـدة مظلمة فعبدوا إ اً يعاً بص اً عا اً قادراً مريداً حياً م هاً عن ا هات، لكنهم فهموا هذه الصفات على حسب مناسبة صفا م، ور ا صرح بعضهم فقال كلامه حروف وأصوات ككلامنا، ور ا ترقى بعضهم فقال: لا بل هو كحديث نفسنا ولا حـرف ولا صـوت، وكذلك إذا طولبوا قيقة السمع والبصر وا ياة رجعوا إ التشبيه من حيث ا عـ وإن أنكروها باللفظ إذ يدركوا أصلاً معا هذه الإطلاقات حق ا تعا ، ولذلك قالوا إرادته إ ا حادثة مثل إرادتنا وإنه طلب وقصد مثل قصدنا... »[6]. أ.هـ ا قصود منه والصنف الثالث وقعوا التشبيه وقالوا بقيام ا وادث بذات ا تعا عما يقولون –

---

(5) ا يال هو: عبارة عن الصور الباقية عن ا سوس بعد غيبته.

(6) من (مشكاة الأنوار) ضمن موعة رسائل الإمام الغزا (٤ / ٢٨-٣١) ط. العلمية

يعا – علوا كب اً.

وهنا ملحوظتان هامتان:

الأو : أن أول درجات ا داية هي ا روج من أسر ا س وا ادة بأن يأخـذ مـن سوساته ما يستدل به على ما غاب عن حسه وإدراكه.

قال تعا : ﴿ أ . ذلك الكتاب لا ريب فيه. هدى للمتق . الذين يؤمنون بالغيـب.. ﴾[٧]

فالإ ان بالغيب يقتضي الإ ان با غيبات و حال كو ا غيبا عن الإدراك والشعور.

الثانية: أن الإنسان دار الدنيا متعلق با سوسات ومرتبط ا نتيجة ما ركب فيـه من شهوات قسراً ركها الشيطان فما يشتغل بتعظيم ربـه وتـ يهـه فـسينحدر الدركات حتما واحدة تلو أخرى.

يقول العلامة علي بن أ د ا ها ي تفس ه لسورة الت :

« ﴿لقد خلقنا الإنسان أحسن تقو ﴾ أي جامع قومات الأشياء روحا وجـسما على أحسن الوجوه ﴿ رددناه﴾ أي يع أفراده من أعلى ا راتب الا كانت له لو غلّـب عقله على سائر قواه ﴿أسفل سافل ﴾ رتبة أنزل من رتبة البهائم ﴿إلا الذين آمنوا﴾ فغلبـوا عقو م على شهوا م وغضبهم فجاهدوا بذلك سائر القوى ﴿فلهم أجر غ نون﴾ أي غ مقطوع بقطع ا اهدة عند استقامة قواهم فلا يزالون يرتفعون أعلى ا كانوا الرتبـة العالية.

فعلم من هذا أن الدين إ ا هو تغليب العقل على سائر القوى بعد اسـتنارته بنـور الشرع.

فهذه مقدمة قطعية تصديق الدين ﴿فما﴾ أي فأي شيء ﴿يكذبك بعد﴾ أي بعـد هذه ا قدمة ﴿بالدين﴾ فإن ادعوا مكذّبًا يعتد به إذ يعت ه ا مقابلة العقل ا نـور بنور الشرع وهو ا اكم ا طلق ﴿أليس ا بأحكم ا اكم ﴾ » اهـ[٨].

([٧]) الآيات ١-٣ من سورة البقرة.

([٨]) من (تبص الر ن وتيس ا نان) (٤٠٧/٢).

ا قدمة الثانية

عجز العقل البشري عن إدراك تصور حقيقة الذات الإ ية

قال ا تعا : ﴿ولا يطون به علما﴾[٩] يقول القرط تفس ه: « ا اء ﴿ به﴾ تعا ، أي أحد لا يط به علما إذ الإحاطة مشعرة با د ويتعا ا عن التحديد» .

بل أ ع العلماء على نفي إحاطة عقول ا لق با تعا .

وقال ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف ا ﴾[١٠] يقول الألوسي تفس ه:

« ﴿لا تدركه الأبصار﴾ ع بصر يطلق كما قال الراغب على ا ارحة الناظرة وعلى القوة ال فيها وعلى البص ة وهي قوة القلب ا دركة وإدراك الشيء عبارة عن الوصول إ غايته والإحاطة به.

وأكثر ا تكلم على ل البصر هنا على ا ارحة من حيث أ ا مل القوة.

وقيل هو إشارة إ ذلك وإ الأوهام والأفهام كما قال أم ا ؤمن على كرم ا وجهه: «التوحيد أن لا تتو ه» وقال أيضاً: «كل ما أدركته فهو غ ه» ونقل الراغب عن بعضهم أنه ل ذلك على البص ة وذكر أنه قد نبه به على ما روى عن أ بكر الصديق ﷺ قوله: «يا من غاية معرفته القصور عن معرفته» إذ كانت معرفته تعا أن تعرف الأشياء فتعلم أنه ليس ثلٍ لشيء منها بل هو موجد كل ما أدركته » اهـ.

وكم من موجود لا تراه الع الباصرة ومع ذلك يدركه العقل و يط به علما بل ويسخره دمة الإنسان فحمل البصر هنا على البص ة أي قوة القلب ا دركة أو عليها وعلى إبصار الع ا ارحة معاً هو الأليق هذا ا قام وسياق الآيات قبل هذه الآية وبعدها يدل على ذلك وا تعا أعلم.

بل وردت أحاديث متعددة تنهى عن التفكر الذات الإ ية ا قدسة و اولة تصورها منها:

١- عن ابن عباس رضي ا عنهما قال: « تفكروا كل شيء ولا تفكروا ذات

---

(٩) الآية رقم ١١٠، من سورة طه.

(١٠) الآية رقم ١٠٣ ، من سورة الأنعام.

ا عز وجل فإن بـ السماء السابعة إ كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك »[١١].

٢- « تفكروا كل شيء ولا تتفكروا ا »[١٢].

٣- « خرج رسول ا ﷺ على ناس من أصحابه وهم يتفكرون خلق ا فقـال م: فيما كنتم تفكرون؟ قالوا: نتفكر خلق ا ، قال: لا تتفكروا ا وتفكـروا خلق ا ... »[١٣].

٤- « أنه ﷺ خرج على أصحابه فقال: ما عكم؟ فقالوا: اجتمعنا نـذكر ربنـا ونتفكر عظمته فقال: « تفكروا خلق ا ولا تفكروا ا فإنكم لـن تقـدروا قدره... » ا ديث رواه أبو نعيم عن ابن عباس.

٥- « تفكروا آلاء ا ولا تتفكروا ا »[١٤].

يقول ا افظ السخاوي بعد أن أورد معظم هذه الأحاديث: وأسانيدها ضعيفة لكـن اجتماعها يكتسب قوة وا ع صحيح، و صحيح مسلم عن أ هريرة مرفوعاً «لا يزال الناس يتساءلون حـ يقال هذا: خلق ا ا لق، فمن خلق ا ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت با »[١٥]اهـ.

وتابعه على ذلك الإمام الزرقا (تصر ا قاصد) فقال عـن ا ـديث الأول « تفكروا كل شيء ولا تتفكروا ا »: حسن لغ ه » اهـ.

وقد شرح ذلك حجة الإسلام الغزا كتاب التفكر من (إحياء علوم الدين) قال:

«ا قام الأعلى: الفكر ذاته وصفاته ومعا أ ائه، وهذا ا منع منه حيث قيل: « تفكروا خلق ا تعا ولا تتفكروا ذات ا » وذلك لأن العقول تتحـ فيه فلا يطيق مد البصر إليه إلا الصديقون لا يطيقون دوام النظر...»

« ... فالصواب إذن أن لا يتعرض اري الفكر ذات ا تعا وصـفاته، فـإن أكثر العقول لا تمله، بل القدر اليسـ الذي صرح به بعض العلماء وهو: [أن ا تعا

([١١]) رواه البيهقي بسنده (الأ اء والصفات) باب قول ا عز وجل (وهو القاهر فوق عباده).

([١٢]) لابن أ شيبة (العرش).

([١٣]) ا ديث رواه أبو نعيم ا لية والأصبها الترغيب والترهيب عن عبد ا بن سلام.

([١٤]) للطـ ا الأوسط والبيهقي الشعب من حديث ابن عمر مرفوعاً.

([١٥]) ا قاصد ا سنة حديث رقم (٣٤٢).

مقدس عن ا كان وم ه عن الأقطار وا هات وأنه ليس داخل العا ولا خارجـه ولا هـو متصل بالعا ولا هو منفصل عنه] قد حـ ت عقول أقوام حـ أنكروه - واستشكلوه - إذ يطيقوا اعه ومعرفته. بل ضعفت طائفة عن احتمال أقل من هذا إذا قيل ـم: إنـه يتعاظم ويتعا عن أن يكون له رأس ورجل ويد وعـ وعضو وأن يكون جسماً مشخصاً له مقدار وحجم، فأنكروا هذا وظنوا أن ذلك قدح عظمة ا وجلاله - وهم طائفـة من ا شوية الكرامية - حـ قال بعض ا مقى من العوام: إن هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الإله! لظن ا سكـ أن ا لالة والعظمة هذه الأعضاء، وهذا لأن الإنـسان لا يعرف إلا نفسه فلا يستعظم إلا نفسه فكل ما لا يساويه صفاته فلا يفهم العظمة فيه – وهذا فاسد – نعم غايته أن يقدر نفسه يل الصورة جالسا على سريره وبـ يديه غلمان تثلون أمره فلا جرم غايته أن يقدر ذلك حق ا تعا وتقدس، حـ يفهم العظمـة- قياس الشاهد على الغائب والرب تعا لا يعرف بالقياس - بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس القك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له ط ان لأنكر ذلك وقال: كيف يكـون خالقي أنقص مـ ؟ أفيكون مقصوص ا ناح أو يكون زمنا لا يقدر على الط ان أو تكون آلة وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقي ومصوري؟

وعقول أكثر ا لق قريب من هذا العقل وإن الإنسان هول ظلوم كفار، ولذلك أوحي ا تعا إ بعض أنبيائه: « لا عبادي بصفا فينكرو – أي لأن عقو م لا تمل ذلك – ولكن أخ هم عـ ا يفهمون » – أي بقدر ما يطيقون فهمه، وقد ورد مثـل ذلك الأخبار ا مدية: «خاطبوا الناس ا يفهمون، أ بون أن يكذب ا ورسوله!»-

.

و ا كان النظر ذات ا وصفاته ظرا من هذا الوجه اقتضى أدب الشرع وصلاح ا لق أن لا يتعرض اري الفكر فيه، لكنا نعدل إ ا قام الثا - وهو الأد بالنسبة إ ا قام الأول- وهو النظر إ أفعاله وعجائب صنعه وبدائع أمره خلقه فإ ا تدل علـى جلاله وكـ يائه وتقدسه وتعاليه، وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفـاذ مـشيئته وقدرته، فينظر إ صفاته من آثار صفاته ... »

« ... فكذلك الأفعال واسطة تشاهد فيها صفات الفاعل ولا نبهر بأنوار الـذات بعد أن تباعدنا عنها بواسطة الأفعال، فهذا سر قوله ﷺ « تفكروا خلق ا ولا تتفكروا

ذات ا تعا » ا.هـ(١٦). كلام الإمام الغزا .

ويقول القاضي عياض شرحه لصحيح مسلم: « وقد أ ع أهل السنة على تصويب القول بالوقف من التفكر ذاته تعا ة العقل هنالك وحرمة التكييف. والوقف ذلـك غ شك الوجود ولا جهل با وجود فلا يقدح التوحيد، بل هو حقيقته»(١٧)اهـ.

يقول س الدين أبو الثناء الأصفها كتابه (مطالع الأنظار):

«إن الطاقة البشرية لا تفي عرفة ذاته تعا لأن معرفة ذاته إما بالبديهـة أو بـالنظر وكل منهما باطل.. » .

قال: « ... و ا دل الاستقراء على طريق الإنصاف أنا لا نعلم من ا تعـا إلا السلوب وإلا الإضافات وثبت أن العلم ا لا يستلزم العلم با قيقة ثبت أنا لا نعلم ذات ا تعا »(١٨)اهـ.

وعلى هذا الرأي هور ا قق من أئمة الإسلام ومنهم القاضي أبو بكر البـاقلا وإمام ا رم ا وي وحجة الإسلام الغزا والفخر الرازي وسيف الدين الآمدي والعز بن عبد السلام وغ هم كث وكذلك أكثر أهل التصوف.

وسأل بعضهم الإمام بن معاذ الرازي فقال له: أخ نا عن ا ؟. فقال رضي ا عنه: إله واحد.

فقيل له: كيف هو؟ فقال: إله قادر.

قيل: فأين هو؟ قال: با رصاد.

فقال السائل: أسألك عن هذا!؟. فقال الإمام ا ليل: ما كان غ هذا فهـو صـفة ا خلوق، فأما صفته فالذي أخ تك عنه.

فالسائل سأل عن حقيقة الذات والكيفية، فأجابه هذا ا ـ بالـصفات ا لاليـة القدسية.

---

(١٦) الإحياء مع شرحه إ اف السادة ا تق ، (١٣/٣٤٣-٤١٥) ط. العلمية.

(١٧) انظر تعليق الإمام الكوثري على (السيف الصقيل) ص ١٠٤.

(١٨) مطالع الأنظار على طوالع الأنوار، أبو الثناء الأصفها ص ٣٢٣-٣٢٤، وانظر الفصل الرابع مـن (ا قـصد الأس شرح أ اء ا س) لأ حامد الغزا ص ٣١، وا بحث الرابع من (اليواقيت وا واهر) للإمـام عبد الوهاب الشعرا ص٤٦.

وهذا ما أخذه من قصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون اللعـ ا قـال له موسى ﷺ : ﴿إ رسولٌ مِن رب العالَمِ ﴾[١٩]. بدأه فرعون بالسؤال: ﴿ومـا رب العا ﴾[٢٠]. ومن ا علوم عند علماء الأصول وا فسرين أن لفظة (ما) يسأل ا عن ماهية الشيء وحقيقته[٢١] ولو سأله: (من رب العا) لأجابه: (ا).، لكنه اهـل الـسؤال الصحيح فأجابه موسى ﷺ : ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾.

فتضمن ا واب العدول عن ما سأل عنه لأن فرعون سأل عن ماهيته سبحانه وتعا وموسى أجابه عن قدرته وصفاته فجاز له حـ خلط السؤال وأخطأ وسأل عمـا لا كن إدراكه العدول عن سؤاله.

فقال فرعون لسائه: ﴿ألا تستمعون﴾ أي: أنا أسأله عن شيء يب عن غ ه!

فقال موسى ﷺ : ﴿ربكم ورب آبائكم الأول ﴾.

فلما قال موسى ﷺ ذلك استشعر فرعون أنه أخطأ السؤال فخشي أن يدرك ذلـك جلساؤه فقال: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم نون ﴾ رماه بذلك حـ يتخلص ويـصـ موسى ﷺ مقام لا يلتفت إ قوله ولا يؤخذ به.

عند ذلك ذكر سيدنا موسى عليه صفات أبـ وأشار إ أن السؤال عن حقيقته ليس دأب العقلاء فقال: ﴿ رب ا شرق وا غرب وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾ [٢٢]

---

(١٩) الآية ١٠٤، من سورة الأعراف.

(٢٠)من الآيات ٢٣ حـ ٢٧، من سورة الشعراء

(٢١) يلاحظ أن هذا هو ط تفك ا شرك دائما، وقد سبق ذكر حديث أنس عند البزار وفيه قول ا شرك: (إيش ربك الذي تدعو إليه؟)وهي نفسها لفظة (ما) عند فرعون زادها مشرك العرب تصر ا فقال: (من حديد هو؟ من اس هو ؟ من فضة هو؟ من ذهب هو؟)

فهو ط التفك ا سي ا ادي البحث الذي لا يؤمن بشيء وراء ا ادة الـ كن إدراكها با واس ولوأجابـه أحد من بـ جلدته بأن حقيقته كذا مثلا لسأله أطويل هو أم قصـ ؟ و ا يتركب من أعضاء؟ وأين مكانـه؟... إ آخر التصورات الوثنية.

(٢٢) من الآيات ٢٣ حـ ٢٧، من سورة الشعراء

ا قدمة الثالثة

تـ يه ا و سبحانه وتعا عن مشا ة و اثلة خلقه

من ا علوم أن ا و سبحانه وتعا واجب الوجود، و تلف اختلافاً كلياً عن وجود ا خلوقات ا مكنة الوجود: قال تعا ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البص ﴾ فلو يرد القرآن إلا هذا النص لكفى.

وقد ينصرف فهم بعض الناس إ أن هذه الآية تنفي ا ثيل، والأمر خـلاف ذا ـك، فالكاف: كاف التشبيه: عل النفي للتشبيه والتمثيل، معاً.

فالتمثيل: ا ماثلة ميع الأوجه.

أما التشبيه فهو: وجود شبه ولو بصورة واحدة، وهو منفيٌ كذلك، بل ولشدة ا بالغة يقل ا و ليس مثله، بل قال « ليس كمثله شيء»، فهي نفيٌ لشبيه ا ثيل وهـو مـ ن ا بالغة الت يه عن ا ثيل والشبيه.

والتشبيه اللغة:

الشبه والشبه والشبيه: ا ثل، وا مع أشباه. وأشبه الشيء الشيء: ماثله.

و ا ثل: من أشبه أباه فما ظلم، وأشبهت فلاناً وشا ته واشتبه علي وتشابه الشيئان واشتبها: أشبه كل واحد صاحبه.

و الت يل: ﴿ مشتبِهاً وغَير متشابِهٍ ﴾[23]

وشبهه إياه وشبهه به مثله. وا شتبهات من الأمـور: ا ـشكلات. وا تـ شا ات: ا تماثلات. وتشبه فلان بكذا. والتشبيه: التمثيل[24].

وعلى هذا فالتشبيه: «**هو إثبات ا ماثلة بـ ا تعا وبـ شيء من خلقه بوجه من الوجوه**».

وقولنا: «بوجه من الوجوه »: قيد للاحتراز عن ا صار التشبيه ا ماثلة من كـل وجه، بل يكفى لوقوعه وقوع التمثيل ولو صفة واحدة، فالقول به خطر شديد.

قال ابن البنا البغدادي ا نبلي: «وأما ا شبهة وا سمة فهم الذين علون صفات ا

---

(٢٣) سورة الأنعام الآية ٩٩.

(٢٤) لسان العرب- ابن منظور ج ٣١ ص٥٠٣: مادة: شبه.

عز وجل مثل صفات المخلوق» [٢٥].

ولشناعة أمر التشبيه تبرأ السلف الصالح من التشبيه وأهله ونزهوا عقائدهم، وأقووا لم صفات الله سبحانه عن هذه العقيدة النكراء.

وقد ساق الإمام البيهقي في سننه ما يفيد هذا المعنى مثل:

- أخبرنا محمد بن عبدالله الحافظ ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه ثنا محمد بن بشر بن مطر ثنا الهيثم بن خارجه ثنا الوليد بن مسلم قال: سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد **عن هذه الأحاديث التي جاءت في التشبيه فقالوا: «أمروها كما جاءت بلا كيفية»**اهـ [٢٦].

وقال البيهقي: «أخبرنا أبو عبدالله الحافظ قال سمعت أبا محمد أحمد بن عبدالله المزني يقول حديث النزول قد ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوه صحيحة وورد في التنزيل ما يصدقه وهو قوله تعالى: ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ والنزول والمجيء صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه جل الله تعالى عما تقول المعطلة لصفاته والمشبهة بها علواً كبيراً. قلت: وكان أبو سليمان الخطابي رحمه الله يقول إنما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث من يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النزول الذي هو تدل من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت وهذه صفة الأجسام والأشباح فأما نزول من **لا تستولي عليه صفات الأجسام** فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» [٢٧].

ولنقف عند بعض الأمور في هذا النص منها:

أولاً: قوله: «التي جاءت في التشبيه...».

يفيد صحة ما ذكره علماء أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية، من أن هذه النصوص

---

(٢٥) المختار في أصول السنة ص٧٧، ط: مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة.

(٢٦) سنن البيهقي (٣/٢)

(٢٧) السنن الكبرى للبيهقي (٢/٣).

مو ة للتشبيه إذا لت على ظاهرها ا تبادر إ الذهن[٢٨].

قال الإمام اللقا جوهرة التوحيد:

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم ت يها

فقوله: (أوهم التشبيها)، مساو لقوله: هذه الأحاديث ال جاءت التشبيه.

ثانيًا: قو م « أمروها كما جاءت... »:

هذه العبارة تفهم على وجهها الصحيح إذا عرفنا ما هو ا قصود بإمرارها أو ا ـرور عليها كما جاءت.

فالإمرار لغة العرب يع ا اوزة وعدم التعمق أو التأمل الشيء الذي ر عليه، يؤيده ما ذكره علماء اللغة تفس هذه ا ادة (مرر)، فقد ورد معاجم اللغة: مر عليه وبه ر مرا أي اجتاز. ومر ر مرا ومروراً: ذهب واستمر مثله. قال ابن سيده: مر ر مراً

---

(٢٨) **أ-** ويكفينا دليلاعلى ذلك ما أخرجه مسلم صحيحه عن أ هريرة رضي ا عنه قال: قال رسول ا : « إن ا عزوجل يقول يوم القيامة: يابن آدم مرضت فلم تعد . قال: كيف أعودك وأنت رب العا ؟. قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده.. ..» ا ديث

ويستفاد من هذا ا ديث:

أولا: أنه إثبات قاطع لظاهرة التبادر، وهو أن يسبق إ الفهم مع اللفظ ا عهود الذهن جرد اع ذلك اللفظ خاليًا عن القرائن.

وهذا ا ع هو ما يطلق عليه علماء البلاغة (حقيقة) وأي مع سواه دلت عليه القرينة هو (از).

فقد سبق إ فهم العبد من الكلام ظاهره ا ستحيل على ا ، لذا فقد سأل ربه مضمنا سؤاله القرينة الدالـة علـى الت يه.

ثانيًا: أن قرينة الت يه معلومة لكل أحد الآخرة بعد كشف ا جب، أما الدنيا فقد تغيب قليلا عـن بعـض ا ؤمن وخاصة العوام

ثالثًا: أن ا سبحانه قد علمنا التأويل حـ أجاب على أسئلة العبد « أما علمت أن عبدي مرض... » وأرشدنا إ كيفية للوصول إ ا ع ا قصود النص، وإ ا تتفاوت أقدار العلماء الرباني ملاحظ القرائن ال تقود إ ا ع ا راد.

ب- يقول الدكتور عبدالعظيم ا طع كتابه ا از: « ... أما تبادر ا ع ا قيقي فيكفي فيه قصة القوم الـذين فهموا من قوله تعا : ﴿ حـ يتب لكم ا يط الأبيض من ا يط الأسود ﴾ أن ا راد من ا يط هنا: ا ـبلان الأبيض والأسود ، إ أن أنزل ا قوله تعا : ﴿من الفجر﴾ فكانت نصًا فهم ا راد.

وهذه ا بادرة مطردة لذلك احتيج ا از إ القرائن الصارفة عن ا ع ا قيقي ا تبادر ، وهذا هو ا ق » اهـ ـ. ا قصود منه (٩٤٣/٢)

ومروراً جاء وذهب ومر به ومره: جاز عليه وهذا قد وز أن يكون ا يتعدى ـرف وغ حرف و وز أن يكون ا حذف فيه ا رف فأوصل الفعل وعلى هذين الـوجه مل بيت جرير:

رون الديار و تعوجوا كلامكم علي إذًا حرام

وقوله عز وجل: ﴿فَلَمّا تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت بِهِ﴾[29] فمرت بـه أي استمرت به يع ا قيل: قعدت وقامت فلم يثقلها[30].

ومع هذا أن إمرارها يقتضي اوز ا وعدم الوقوف عليها وترك علـم معناهـا تعا ، وهذا هو التفويض الذي عليه السلف.

وقال الذه [31]: «وا فوظ عن مالك ر ه ا رواية الوليد بن مسلم أنه سأله عـن أحاديث الصفات فقال: أمرها كما جاءت بلا تفس ». اهـ.

وقال ا افظ ابن حجر الفتح[32]: وأسند البيهقي بسند صحيح عن أ د بـن أ واري عن سفيان بن عيينة قال كل ما وصف ا به نفسه كتابه فتفـس ه تلاوتـه والسكوت عنه.

ومن طريق أ بكر الضبعي قال: «مذهب أهل السنة قوله: ﴿الر ن على العرش استوى﴾ قال: بلا كيف والآثار فيه عن السلف كث ة وهذه طريقة الشافعي وأ د بـن حنبل»ا.هـ.

إذا علم هذا تب غلط من قال: إن التفويض الذي عليه السلف هـو علـم ا عـ وتفويض الكيف، لأن الذي علم ا ع لا يقال لـه فوض، وكيف يفوض شـيئاً علـم معناه؟ فهذا تناقض،إذ أنه بعد إثبات إن اللفظ أو التعب له مع متبادر مستحيل على ا (يلحق النقائص با) ومع آخر لائق با تدل عليه القرائن، فكيـف ننـسب إ ا سبحانه إرادة ا ع ا ستحيل نفوض إليه سـبحانه معرفـة الـسبب إرادة ا عـ ا ستحيل!. يضاف إليه الفة السلف إثبات الكيف تعا ، فبينمـا نـرى تـضافر

(٢٩) الأعراف: من الآية١٨٩.

(٣٠) تاج العروس للزبيدي، ولسان العرب لابن منظور، والصحاح للجوهري، (مادة: مرر).

(٣١) س أعلام النبلاء (١٠٥/٨).

(٣٢) فتح الباري (٣٤٣/١٣)

نصوص السلف صر ة نفي الكيف عن ذات ا وصفاته، نرى ا شبهة يثبتون تعا كيفاً يفوضون معرفته !!!، وهذا يتب من ثالثاً.

وهذا لا ينفي الفهم الإ ا ، فنعم للفهم الإ ا ولا للفهم الكيفي.

ثالثًا: قو م (بلا كيفية): يفيد نفي الكيف عن ا تعا وعن صفاته العلى.

فا سبحانه وتعا لا كيف لذاته العلية، ولا كيف لصفاته العلى، كما دل عليه خ البيهقي السالف ويضاف إليه ما ذكره الذه س أعلام النبلاء (٩٠/٦) عن ربيعة بن عبدالر ن شيخ الإمام مالك: وقال أ د بن عبدا العجلي تار ه: حدث أ قـال: قال ربيعة: وسئل كيف استوى؟ فقال: الكيف غ معقول، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق. ا.هـ .

وذكره ا افظ الفتح من رواية اللالكائي عن أم ا ؤمن أم سلمة رضي ا عنها، فقال: وأخرج أبو القاسم اللالكائي كتاب السنة من طريق ا سن البصري عن أمه عن أم سلمة أ ا قالت: الاستواء غ هول والكيف غ معقول والإقرار به إ ان وا حود به كفر ا.هـ[٣٣].

ما رواه البيهقي قال:

(وأخ نا) أبو بكر أ د بن مد بن ا ارث الفقيه أنبأ أبو مد بن حيان ثنا إسحاق بن أ د الفارسي ثنا حفص بن عمر ا هرقا ثنا أبو داود وهو الطيالسي قال كان سفيان الثوري وشعبة و اد بن زيد و اد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا دون ولا يشبهون ولا ثلون يروون ا ديث ولا يقولون كيف وإذا سئلوا أجابوا بـالأثر، وقـال الإمـام الترمذي سننه[٣٤].

وقد قال غ واحد من أهل العلم هذا ا ديث - حديث الصدقة - وما يـشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعا كل ليلة إ السماء الدنيا قالوا قد ثبتت الروايات هذا ويؤمن ا ولا يتوهم ولا يقال كيف هكذا روي عـن مالـك وسفيان بن عيينة وعبدا بن ا بارك أ م قالوا هذه الأحاديث أمروها بلا كيف وهكذا

---

(٣٣) فتح الباري (١٣ /٣٤٢).

(٣٤) كتاب الزكاة باب ما جاء فضل الصدقة رقم (٥٩٨).

قول أهل العلم من أهل السنة وا ماعة. ا.هـ.

فتأمل قوله: ولا يقال كيف.

وقال ابن السمعا :

« قال البصـ ي: عت أبا ا سـ أ ـد بن ا سـ ا فاف يقول: عـت الـشيخ ا ليل أبا مد ا ز يقول: حديث ا ول قد صح، والإ ان به واجب، ولكـن ينبغـي أن يعرف أنه كما لا كيف لذاته لا كيف لصفاته. ذكره ا اكم أبو عبدا ا ـافظ تـاريخ نيسابور فقال: أبو مد ا ز ، كان إمام أهل العلم والوجوه وأولياء السلطان راسان عصره بلا مدافعة»[٣٥]اهـ.

فهذه نصوص السلف الصا ا تنفي الكيف عن ذات ا تعا وصفاته، وأصرحها قول أم ا ؤمنـ أم سلمة رضي ا عنها: الكيف غ معقول، وغ ا عقول هو ا ستحيل ذاته، ولا شك أن هذه الأمور الاعتقادية ا لا ال لاجتهاد الصحابة فيها، فيكـون مرفوعاً إ النـ ﷺ.

فمن قال إن السلف علموا معا هذه الصفات، وفوضوا كيفها تعا فقد غلـط على السلف الصا وحكى مذهبهم حكاية الف نصوص التفـويض التـام والإمـرار والسكوت وعدم ا وض أو التفسـ هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد خالف السلف وا لف مسألة الكيف ا نفاها السلف نفياً قاطعاً لا تمل التأويل.

إذا علمت هذا فاعلم أن **التجسيم** فرع عن التشبيه ونوع من أنواعه.

فالتجسيم: هو نسبته تعا إ ا سمية والتحيز وا ـد..إ .

فا سم اللغة: اعة البدن أو الأعضاء من الناس والإبل والدواب وغ هـم مـن الأنواع العظيمة ا لق (لسان العرب لابن منظور مادة: جسم).

وقد صرح السلف الصا بالت ؤ من نسبة ا سمية تعا ، كما صرحوا بالت ؤ من التشبيه، بل كل ما ورد تشنيعهم على ا شبهة صا لإيراده على ا سمة، ضـرورة أن نفي الأعم يستلزم نفي الأخص، والتشبيه أعم كما سيأ .

ويدخل التجسيم إثبات ا ـد تعا ، وإثبات ظواهر آيات الصفات أو الإضافات

---

(٣٥) السمعا الأنساب (٢٧٨/٥).

و لها على ا ع اللغوي ا قول على ا خلوق مع عدم نفي ا ماثلة وا سمية و و ذلك ا يتعا ا عنه ويتقدس، ورد طبقات ا نابلة ذكر عقيدة الإمام أ د بن حنبـل رضي الله عنه:

« كان الإمام أ د ر ه ا تعا يقول: تعا يدان، و ا صـفة لـه، ليـستا ارحتن وليستا ركبتن ولا جسم ولا من جنس الأجسام، ولا من جـنس ا ـدود والتركيب والأبعاض وا وارح، ولا يقاس على ذلك، ولا لـه مرفق ولا عضلة، ولا فيما يقتضي ذلك من إطلاق قو م يد إلا ما نطق به القرآن الكر »[٣٦] ا.هـ

انظر إ قول الإمام أ د ر ه ا تعا : « ولا فيما يقتضي ذلك من إطلاق قـو م يد. إ » فمفهوم كلامه أن هذا اللفظ على ظاهره وإطلاقه لـه مفهوم وظاهر متبـادر إ الذهن من الوضع اللغوي والاستعمال البشري هذا ا فهوم لـه لوازم ذهنيـة مثـل التبعيض: ا رفق –العضلة...إ لا تليق بذات ا تعا ، فأهل السنة وا ماعة ينفـون - ولا يتوقفون أبدًا - هذه اللوازم الباطلة عن صفاته تعا .

فأين هذا ن يدعي أن مذهب السلف هو فهم هذه الآيات على ظواهرها ا تبـادرة إ الذهن من الوضع اللغوي، وكأنه فهم أن مراد السلف من الإجراء على الظاهر هـو ا مل على ا ع اللغوي العام، وهذا ينفيه الإمام أ د صراحة بقوله السالف: «ولا فيما يقتضي...إ » .

وينبغي أن يفهم إجراء الآيات على ظواهرها ضوء قو م « أمروها كما جـاءت، وقرائتها تفس ها » وأيضاً قول الإمام أ د: « إلا ما نطق به القرآن ».

وقال أبو الفضل التميمي رئيس ا نابلة ببغداد: « وأنكر أ د على من قال با سم، وقال: إن الأ اء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم - يع ا سم - على ذي طول وعرض و ك وتركيب وصورة وتأليف، وا سبحانه وتعا خـارج عن ذلك، و ئ الشريعة ذلك » [٣٧]. ا.هـ

و طبقات ا نابلة لأ يعلى: أن الإمام أ د كان يقول: وا تعا يلحقه تغـ

(٣٦) طبقات ا نابلة، (٣٩١/٢) .

(٣٧) نقله ا افظ البيهقي مناقب الإمام أ د.

ولا تبدل ولا يلحقه ا دود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش ا.هـ[38].

وقال الإمام ابن ا وزي السه ا تشا ات: « وليس ا لاف اليـد وإ ـا ا لاف ا ارحة، وليس ا لاف الوجه وإ ا ا لاف الصورة ا سمية، ولـيس ا لاف العـ ، وإ ا ا لاف ا دقة »[39] . ا.هـ.

وقال ابن ا وزي ا صدر السابق : « يروى أن أ د ابن حنبل رضي الله عنه سـأله ولـده عبدا عن قول رسول ا ﷺ حكاية عن ربه سبحانه وتعا : «خمرت طينةَ آدم بيـدي أربع صباحاً » فقال له: يا ب ، إذا سألت عن اليد جهة ا الق فينبغي أن تقطع يدك أو بئها كمك...إ »[40] .

فأين يذهب من يدعي أن السلف الصا توقفوا إثبات أو نفي ا سمية تعا ؛ لأن النصوص ترد بذلك بنفي ولا إثبات، وهاهي نصوص السلف ناطقة بكذب دعواه وبطلا ا، حيث صرحوا بذم الأعم وهو التشبيه، وذم الأخص وهو التجسيم، ونسبوا قائله إ التبديع بل إ التكف وا روج من ملة ا سلم .

---

(38) الطبقات (٢٩٧/٢).

(39) السـ ابن ا وزي نفي التشبيه (ص٥٤)

(40) ا صدر السابق، ص ٥٩.

ا قدمة الرابعة

كيف نفهم الصفات الإ ية

بعد أن تب   لنا من ا قدمة الثانية عجز العقل البشري عن تـصور أو إدراك وفهـم حقيقة الذات الإ ية.

ومن ا قدمة الثالثة تب   لنا حتمية ت يه ا   سبحانه وتعا   عن مشا ة أو اثلة خلقه، سن بنا أن نلتفت إ   الضوابط التالية نع ا طأ   فهم الصفات:

الضابط الأول: ذكر الإمام أبو حامد الغزا   أن عدم معرفة كنه الذات ا قدسـة أو كنه صفا ا لا ينا   ا زم بعدم اتصافها با ستحيلات والنقائص ال   دل على اسـتحالتها العقل.

الثا : ذكر السبكي ومن قبله أبو حامد الغزا   أن إقرار ا سلم بالصفات الـ   دل عليها الدليل العقلي مثل القدرة أو العلم أو الإرادة مثلا لا يع   إلا: **الإ ان بذات   هولة لنا   ا صفة القدرة وال   معناها فعل ما توجهت له إرادة الذات، و ا صفة العلم وال   هي إدراك هذه الذات ا قدسة لكل ا علومات ولا   في عليها منها شيء**... وهكـذا ويلاحظ أن منشأ الإقرار ذه الصفات هو التأمل والنظر   صفات وأحـوال ا لائـق ا درگة للإنسان بأنواعها   يث أدرك بعقله أن ذاتا قديرة أوجدت هذه الأشياء وهـي كذلك عليمه ومريدة تارة فيما تفعل وهكذا إ   آخر الصفات الدالة على التعظـيم و ينتج هذا الإ ان والإقرار أبدا عن تصور وإدراك أو إحاطة   قيقة الذات ا قدسة.

الثالث: بدهي أن الألفاظ مثل يد وقدم وساق ووجه وغ ها كمـا ذكـر الإمـام السبكي يسأل عنها أهل اللغة ما معناها عندهم هل هي صفات؟ أم جوارح وأعضاء   ـا كيفية و كن الإحاطة ا وتصورها؟ وإذا كانت جوارح وأعضاء فلم منع البـشر مـن التفكر   الذات ا قدسة إذن؟ ومثل هذا التنبيه والذي قبله ينطبق على بقية الألفاظ مثـل الضحك والغضب وال ول.

الرابع: إن قيل: اذا لا نثبت حقائق وظواهر الألفاظ مثل الاستواء وال ول واليـد والساق... إ   ولا نتكلم عن الكيفية لأ ا فوق مستوى الإدراك البشري؟

يب على ذلك الدكتور إبراهيم عبد الر ن فيقول: « ...القطع منا حاصل بـأن

يع ما نثبته لربنا من حقائق صفاته بل أفعاله كذلك فضلا عن ذاته ا لا نعلم كيفيتــه. إ ا الكلام أن ا قائق ال لا نفهم من إطلاقها إلا ما هو ال غ لائق بــه ســبحانه كيف صحت إراد ا عقولكم؟! أي أن ال اع ليس ال أ ا بعد صحة إراد ا كيف تكون إ ا ال اع أصل صحة تلك الإرادة، وشتان ب ا قام »[٤١] ا.هـ

أي أن السؤال ب أن يكون: هل أراد ا سبحانه ذه الألفاظ حقائقها وظواهرها ال نعلمها من اللغة ونتصورها و زم العقل باستحالة اتصافه سبحانه ا؟ أم أراد ا معان ازية تتفق مع كماله سبحانه وعظمته، وهذه ا عا تتسع ا اللغة و ا قرائن مقدمتها قرينة التعظيم ا طلق والت يه الكامل التام سبحانه وتعا عن أي نقص؟

ا امس: إن قيل: اذا لا تكون ظواهر الألفاظ أو الكيفية ا شار إليهــا التنبيــه السابق ليس ا علاقة مطلقا بالكيفية أو الظواهر ا عروفة وا تصورة لدينا وبالتا لا تلحق نقصا وليست مستحيلة؟ نقول:

أولا: لا اطبنا ا سبحانه با هما ولا ا ليس له مع لدينا، وقد اعترف ابن تيمية نفسه بذلك.

ثانياً: يرد ابن تيمية نفسه على هذا السؤال فيقول: « ... كل ما تثبته من الأ ـاء والصفات فلابد أن يدل على قدر تتواطأ فيه ا سميات، ولولا ذلك ا فهــم ا طــاب. ولكنا نعلم أن ما اختص ا به وامتاز عن خلقه أعظم ا طر بالبال ... »[٤٢] ا.هـ .

ثالثا: يقول ابن تيمية الرسالة التدمرية: « والكبد والطحال و و ذلك هي أعضاء الأكل والشرب فالغ ا ه عن ذلك م ه عن آلات ذلك لاف اليد فإ ا للعمل والفعل وهو سبحانه موصوف بالعمل والفعل... »[٤٣] ا.هـ .

فهو هنا يعترف صراحة أ ا أعضاء وآلات ومثل ذلك ما يصرح به تلميذه ابن القيم القصيدة النونية بأن عينا يبصر ا فهل هذه الع شيء غ العضو ا عروف؟ تعـا ا عما يقولون.

ومن ذلك يتضح أن الكيفية ا شار إليها تؤدي إ تعظيم جزئي وت يــه نــاقص

(٤١) (ا كم وا تشابه) ص ٦٢٣- ٦٢٤.

(٤٢) التدمرية، ص٤٢-٤٣ ط. العبيكان.

(٤٣) التدمرية، ص ١٤٣، ط. العبيكان.

سبحانه وتعا .

السادس: يقول الشيخ سلامة العزامي:

« إذا عت عبارات بعض السلف إ ا نؤمن بأن له وجها لا كالوجوه ويـدًا لا كالأيدي فلا تظن أ م أرادوا أن ذاته العلية منقسمة إ أجزاء وأبعاض. فجزء منها يـد وجزء منها وجه غ أنه لا يشابه الأيدي والوجوه ال للخلق حاشاهم من ذلك، وما هذا إلا التشبيه بعينه، وإ ا أرادوا بذلك أن لفظ الوجه واليد قد استعمل مع من ا عـا ، وصفة من الصفات ال تليق بالذات العلية كالعظمة والقدرة، غ أ م يتورعون عن تعي تلك الصفة يبا من التهجم على ذلك ا قام الأقدس.

وانتهز ا سمة وا شبهة مثل هذه العبارة فغرروا ا العوام، وخدعوا ا الأغمار مـن الناس، و لموها على الأجزاء فوقعوا حقيقة التجسيم والتشبيه، وت أوا من ا ه، وليس في نقدهم ا زيف على صيارفة العلماء، وجهابذة ا كماء.

ويدلك على إرادة السلف ما قلنا ما نقله الذه نفسه كتابه الذي اه (العلو) عن الإمام مالك وشيخه ربيعة ونظرائهما أ م قالوا ح سئلوا عن قوله تعا : ﴿ الر ن على العرش استوى ﴾ كيف استوى؟ **والكيف غ معقول** .

وكذلك نقل الذه بالسند هذا الكتاب عن أ عبد ا ا اكم وأ زرعة اتفاق يع فقهاء الأمصار من أهل تلك الأمصار أ م يؤمنون ذه الصفات من غ كيف.

فانظر كيف نفوا الكيف مع وهو صريح أ ا ليست أجزاء ولا جسمانية فـإن الاستواء ا سما والوجه ا سما وما إليه لابد ا من الكيف قطعاً، إذ هو لازم مـن لوازم ذا ا لذا ا، ونفي لازم ا اهية لذا ا يستلزم نفيها عند يع ا نصف مـن العقـلاء الذين يصابوا بالأهواء وانظر كيف وها صفات و يسموها أبعاضا وأجزاء.

وا لاصة أنه يندفع عنك أيها الطالب عرفة مذهب السلف الصا الوهم بأمرين:

أ- إ اعهم على نفي الكيف، بل تصر هم بأن الكيف غ معقول.

ب- والتسمية ا بالصفات». اهـ (٤٤).

---

(٤٤) فرقان القرآن للشيخ العزامي، ص ١٠٨، ١٠٩.

ا قدمة ا امسة

ا از اللغة ودوره فهم نصوص الكتاب والسنة:

سبب عقد هذا ا بحث هو ما ترتب على إنكار ا از ونفي التأويل من أخطاء فادحة العقيدة أفضت إ ما نعانيه الآن من واقع أليم ا ال الفكري والاجتماعي وتراشق بالتكف بلاد ا سلم .

ونقول وبا التوفيق:

يقول حجة الإسلام الغزا كتابه (ا بة) من الإحياء: « .. وواضع اللغة إ ا وضع هذه الأسامي أولا للخلق، فإن ا لق أسبق إ العقول والأفهام من ا الق. فكان استعما ا حق ا الق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل » اهـ .[45]

يقول حجة الإسلام الغزا (إ ام العوام): « ..كما أنا لا نستغ عن أن نقـول (صورة هذه ا سألة كذا، وهي الف صورة ا سألة الأخرى) وهي مستعارة من الـصور ا سمانية. لكن واضع اللغة ا يضع يئة ا سألة وخصوص ترتيبها ا أ ناصا، إما لأنه يفهم ا سألة أو فهم لكن ضره أو حضرته لكن يضع ا نصا خاصا اعتماداً على إمكان الاستعارة أو لأنه علم أنه عاجز عـن أن يضع لكل مع لفظاً خاصاً ناصـا، لأن ا عا غ متناهية العدد وا وضوعات (يقصد الألفاظ ا ستخدمة اللغة) بالقطع ب أن تتناهى فتبقى معان لا اية ا ب أن يستعار ا ها من ا وضوع.

فاكتفى بوضع البعض. وسائر اللغات أشد قصوراً من لغة العرب، فهذا وأمثاله مـن الضرورة يدعو إ الاستعارة ن يتكلم بلغة قوم إذ لا كنه أن رج عـن لغتهم. كيف و ن وز الاستعارة حيث لا ضرورة اعتماداً على القرائن، فإنا لا نفرق ب أن يقـول القائل: (جلس زيد فوق عمرو) ، وب أن يقول (جلس أقرب منـه إ الـصدر) و(إن بغداد ولاية ا ليفة) أو (يده) إذا كان الكلام مع العقلاء وليس الإمكان حفـظ الألفاظ عن إفهام الصبيان وا هال فالاشتغال بالاحتراز عن ذلك ركاكـة الكـلام وسخافة العقل وثقل اللفظ» أ.هـ[46].

---

(45) إحياء علوم الدين:(٣١٨/٤-٣١٩).

(46) إ ام العوم ص ٧١-٧٢ط العلمية.

وأيضاً فإن انتشار التشبيه والاستعارة وأنواع ا از ا ختلفة يقـدم التعـبـ الـدقيق والتصوير الواضح للمعا الكثـ ة عبارات تصرة قليلة الألفاظ توصل ا عا ا رادة من ا تكلم إ السامع أقل وقت و سياق هذه العبارات من القرائن ما يلفت نظـره إ ا ع ا قصود بل يكتفي ا تكلم أحيان كثـ ة بالقرائن (ا الية) ا فهومة من موضـوع ا ديث أو حال ا تكلم أو السامع. فا قيقة تدل على معناها بنفسها وتتبـادر إ فهـم السامع عند عدم وجود قرينة صارفة جرد اع الألفاظ، وا از لا يدل على معنـاه إلا بوجود القرينة ا انعة من إرادة ا ع ا قيقي وتتفاوت الأفهام ملاحظة هـذه القرينـة والتنبه ا، لذا كان ا از بأنواعه من معاي تذوق اللغات ورقيها.

فالعرب قد استعملت أساليبها بعض الكلام فيما وضع له وبعضه غ ما وضع له وجاء القرآن الكر بلسان عر مب معجز لكل بلغاء وفصحاء العرب فيما نبغوا فيه، فبلغ القدح ا على إيراد ا عنويات صورة ا سات لتزداد كنا النفس باسـتخدام أساليب ا از وصور التشبيه الرائعة وشرع العلماء القرن الثا ا جري مع البـدايات ا بكرة للتصنيف العلوم يفرقون بـ الاستعمال ويضعون ا صطلحات ا ختلفة الدالـة عليهما ومنها (ا قيقة وا از) حـ إذا بدأ القرن الثالث ا جري كان ا صطلحان قد شاعا وأقر ما اه العلماء.

فا اصل أن القرآن الكر والسنة ا طهرة حافلان بأنواع ا ازات فإذا وردت ألفاظ مو ة للتشبيه وجب صرفها عن ا ع ا ستحيل على ا سبحانه

قال الغزا :

« .. وكان نفي ا سمية ونفي لوازمها معلوما لكافتهم على القطع بإعلام رسول ا ﷺ ا بالغة الت يه بقوله ﴿ ليس كمثله شيء ﴾[٤٧]. وسورة الإخلاص وقوله ﴿ فلا علوا أندادا﴾[٤٨] وبألفاظ كثـ ة لا حصر ا مع قرائن قاطعة لا كن حكايتها، وعِلم ذلك، علماً لا ريب فيه وكان ذلك كافيا تعريفهم استحالة (يد) هي عضو مركب من ـم وعظم وكذا سائر الظواهر لأ ا لا تدل إلا على ا سمية وعوارضها لو أطلـق علـى

([٤٧]) سورة الشورى، الآية ١١.

([٤٨]) سورة البقرة، الآية ٢٢.

جسم، ولو أطلق على غ ا سم على صورة أنه ما أريد به ظاهره بل مع آخر ا وز على ا تعا ر ا يتع ذلك ا ع ور ا لا يتع فهذا ا يزيل الإشكال » أهـ[٤٩].

منكري ا از:

وقد سارت الأمة الإسلامية كلها على ذلك، تفهم ا از وتستعمله قبل تدوين العلوم -من عهد الصحابة أنفسهم بل من عهد النبوة- كما كانوا يفهمـون قواعـد النحـو والصرف ويستعملو ا قبل تدوين النحو والصرف.

فا از هو مذهب الكثرة الكاثرة ال لا صى عددا مـن علمـاء الأمـة كـل التخصصات، أي أنه يكاد أن يكون إ اعا بل هو كذلك بالفعل لأن ا نكرين للمجاز لا يتجاوز عددهم أصابع اليدين مع الشك الكب ثبوت هذا الإنكار عن بعضهم حسبما صرح به العلامة اللغوي الكب د. عبدالعظيم ا طع كتابه (ا از) .

وعلى ذلك فبوسعنا أن نقر رور عصور أو أجيال -ويكفي عصر واحد- يعترف فيه علماء الأمة با از ويستعملونه بدون إنكار من أحدهم وليكون بذلك إ اعا من الأمة.

ومن أراد الاستزادة فعليه بكتاب (ا از اللغة والقرآن الكر) للدكتور عبدالعظيم ا طع فقد ب فيه الآ :

أولًا: ناقش شبه منكري ا از تفصيلًا وأثبت خطأها ا لا يدع الًا للشك ذلك.

ثانيًا: أثبت فيه أن ا از هو مذهب الكثرة الكاثرة ال لا صى عددًا من علماء الأمة يع عصورها ويكاد أن يكون إ اعًا، بل هو كذلك فعلًا.

ثالثًا: تتبع كلام الشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الفتاوى وغ ها وأثبت أ مـا قائل با از ميع أنواعه وصوره، فذكر حوا سبعة عشر مثالًا تغطي كل أنواع ا از، ذكر فيها ا از صراحة، ومنها سة اذج صفات ا عزوجل منها: تأويـل الرؤيـة والسمع.

---

(٤٩) إ ام العوام ص ٧٠-٧١ ط العلمية

ا قدمة السادسة

أقوال الصحابة والتابع والأئمة ال تدل على الت يه

سأعرض لك فيما يلي موعة من النقول عن كبار الصحابة والتابع وأئمة ا ذاهب الأربعة وغ هم وال تدل على ت يه ا تعا عن ا كان وا هة.

قال الصحا ا ليل وا ليفة الراشد سيدنا علي ﷺ (٤٠ هـ) ما نصه: (كـان- ا - ولا مكان، وهو الآن على ما- عليه- كان أ.هـ.. أي بلا مكان[١].

وقال أيضاً: « إن ا تعا خلق العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته »أ هـ[٢].

وقال أيضاً: « من زعم أن إ نا دود فقد جهل ا الق ا عبود » أ.هـ.. (ا ـدود: ما لـه حجم صغ كان أو كب اً)[٣]

وقال التابعي ا ليل الإمام زين العابدين علي بن ا سـ بن علي رضـي ا عنـهم (٩٤ هـ) ما نصه: « أنت ا الذي لا ويك مكان » أ هـ[٤].

وقال أيضاً: « أنت ا الذي لا د فتكون دوداً » أ.هـ.. [٥]

وقال الإمام جعفر الصادق بن مد الباقر بن زين العابدين علي بن ا سـ رضوان ا عليهم (١٤٨ هـ) ما نصه: « من زعم أن ا شيء، أو من شيء، أو على شيء فقد أشرك. إذ لو كان على شيء لكان مولاً، ولو كان شيء لكان صوراً، ولـو كان من شيء لكان دثاً- أي لوقاً»أ هـ[٦].

قال الإمام ا تهد أبو حنيفة النعمان بن ثابت ﷺ (١٥٠ هـ) أحد مشاه علماء السلف وإمام ا ذهب ا نفي ما نصه: « وا تعا يرى الآخرة، ويراه ا ؤمنون وهـم ا نة بأع رؤوسهم بلا تشبيه ولا كمية، ولا يكون بينه وبـ خلقـه مـسافة » أ.هـ..[٧]

---

(١) الفرق بـ الفرق لأ منصور البغدادي (ص ٣٣٣).

(٢) الفرق بـ الفرق لأ منصور البغدادي (ص ٣٣٣).

(٣) حلية الأولياء: تر ة علي بن أ طالب (١/٧٣).

(٤) إ اف السادة ا تق (٣٨٠/٤).

(٥) إ اف السادة ا تق (٣٨٠/٤).

(٦) ذكره القش ي رسالته ا عروفة بالرسالة القش ية (ص ٦).

(٧) ذكره الفقه الأكـ ، انظر شرح الفقه الأكـ لا علي القاري (ص ١٣٦- ١٣٧).

وقال أيضاً كتابه الوصية: « ولقاء ا تعا لأهل ا نة بلا كيف ولا تـشبيه ولا جهة حق»أ.هـ.[8]

وقال أيضاً: « قلت: أرأيت لو قيل أين ا تعا ؟ فقال- أي أبو حنيفة-: يقال لـه كان ا تعا ولا مكان قبل أن لمق ا لمق، وكان ا تعا و يكن أين ولا خلـق ولا شيء، وهو خالق كل شيء » أ.هـ..[9]

وقال أيضاً: « ونقر بأن ا سبحانه وتعا على العرش استوى من غ أن يكون لـه حاجة إليه واستقرار عليه، وهو حافظ العرش وغ العرش من غ احتياج، فلـو كـان تاجاً ا قدر على إ اد العا وتدب ه كا خلوق ، ولو كان تاجاً إ ا لموس والقـرار فقبل خلق العرش أين كان ا ، تعا ا عن ذلك علواً كب اً » أ.هـ..[10]

وقال الإمام ا تهد مد بن إدريس الشافعي ﷺ إمام ا ذهب الـشافعي (٢٠٤ ص) ما نصه: «إنه تعا كان ولا مكان فخلق ا كان وهو على صفة الأزلية كما كان قبـل خلقه ا كان لا وز عليه التغي ذاته ولا التبديل صفاته » أ.هـ..[11]

وأما الإمام ا تهد ا ليل أبو عبدا أ د بن مد بن حنبل الشيبا (٢٤١ هـ ـ) ﷺ إمام ا ذهب ا نبلي وأحد الأئمة الأربعة، فقد ذكر الشيخ ابن حجر ا يتمي أنه كان من ا ه تعا عن ا هة وا سمية، قال ابن حجر ما نصه: « وما اشـتهر بـ جهلة ا نسوب إ هذا الإمام الأعظم ا تهد من أنه قائل بشيء مـن ا هـة أو وهـا فكذب و تان وافتراء عليه » أ.هـ..[12]

وكذا كان على هذا ا عتقد الإمام شيخ ا دث أبو عبدا مـد ابـن إ اعيـل البخاري صاحب الصحيح (٢٥٦ هـ) فقد فهم شراح صحيحه أن البخاري كان يـ ه ا عن ا كان وا هة.

وقال الإمام ا افظ الفقيه أبو جعفر أ د بن سلامة الطحاوي ا نفي (٣٢١هـ)

---

(٨) الوصية: (ص ٤)، ونقله ملا علي القاري شرح الفقه الأك (ص ١٣٨).

(٩) الفقه الأبسط ضمن موعة رسائل أ حنيفة (ص ٢٥).

(١٠) كتاب الوصية، ضمن موعة رسائل أ حنيفة (ص ٢)، وملا علي القاري شرح الفقه الأك (ص ٧٥) عند شرح قول الإمام: « ولكن يده صفته بلا كيف » .

(١١) إ اف السادة ا تق (٢/ ٢٤).

(١٢) الفتاوى ا ديثية (ص ١٤٤).

رسالته (العقيدة الطحاوية) ما نصه: « وتعا - أي ا - عن ا دود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، لا ويه ا هات الست كسائر ا بتدعات »أ.هـ..

وقال ا افظ مد بن حبان (٣٥٤ هـ) صاحب الصحيح ا شهور بـصحيح ابـن حبان ما نصه: «ا مد الذي ليس لـه حد دود فيحتوى، ولا لـه أجـل معـدود فيف ، ولا يط به جوامع ا كان ولا يشتمل عليه تواتر الزمان » [١٣].

وقال أيضاً ما نصه: « كان- ا - ولا زمان ولا مكان » أ.هـ.. [١٤]

وقال أيضاً:«كذلك ي ل-يع ا -بلا آلة ولا رك ولا انتقـال مـن مكـان إ مكان»اهـ. [١٥]

وقال أيضاً: « وا جل وعلا يتكلم كما شاء بلا آلة كذلك ي ل بلا آلة ولا ـرك ولا انتقال من مكان إ مكان ز أن يقال ا يبصر كبـصرنا بالأشـفار وا ـدق والبياض بل يبصر كيف يشاء بلا آلة ويسمع بلا أذن وصماخ والتواء وغضاريف فيها بل يسمع كيف يشاء بلا آلة وكذلك ي ل كيف يشاء بلا آلة أن يقاس نزوله إ نـزول ا خلوق كما يكيف نزو م جل ربنا وتقدس من أن تشبه صفاته بشيء مـن صـفات ا خلوق » [١٦].

وقال أيضاً تعليقاً على حديث: « عن أنس بن مالك عن الن ﷺ قال يلقـى النار فتقول هل من مزيد ح يضع الرب جل وعلا قدمه فيها فتقول قط قط » .

قال أبو حا (ابن حبان): « هذا ا من الأخبار ال أطلقت بتمثيل ا اورة وذلك أن يوم القيامة يلقى النار من الأمم والأمكنة ال عصي ا عليها فلا تزال تستزيد ح يضع الرب جل وعلا موضعاً من الكفار والأمكنة النار فتمتلىء فتقول قط قط تريـد حسـ حسـ لأن العرب تطلق لغتها اسم القدم على ا وضع قال ا جل وعلا م قدم صدق ر م يريد موضع صدق لا أن ا جل وعلا يضع قدمه النار جل ربنا وتعا عن مثل هذا وأشباهه » [١٧].

---

(١٣) الثقات (١/ ١).
(١٤) صحيح ابن حبان، انظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٨/ ٤).
(١٥) ا صدر السابق (٢/ ١٣٦).
(١٦) صحيح ابن حبان (٣/٢٠٠).
(١٧) صحيح ابن حبان (١/٥٠١).

وقال أبو حا رضي الله عنه : قوله ﷺ « إلا كأ ا يضعها يد الر ن »: هذه أخبار أطلقت من هذا النوع توهم من كم صناعة العلم أن أصحاب ا ديث مشبهة عائذ بـا أن طر ذلك ببال أحد من أصحاب ا ديث ولكن أطلق هذه الأخبار بألفاظ التمثيل لصفاته على حسب ما يتعارفه الناس فيما بينهم دون تكييف صفات ا جل ربنا عن أن يـشبه بشيء من ا خلوق أو يكيف بشيء من صفاته إذ ليس كمثله شيء[18].

وقال أبو حا رضي الله عنه: « ا أجل وأعلى من أن ينسب إليه شيء من صفات ا خلوق إذ ليس كمثله شيء وهذه ألفاظ خرجت من ألفاظ التعارف على حسب ما يتعارفه النـاس ا بينهم ومن ذكر ربه جل وعلا نفسه بنطق أو عمل يتقرب به إ ربه ذكـره ا ملكوته با غفرة لـه تفضلاً وجوداً ومن ذكر ربه ملأ من عباده ذكره ا ملائكته ا قرب با غفرة لـه وقبول ما أتى عبده من ذكره ومن تقرب إ الباري جل وعلا بقدر ش من الطاعات كان وجود الرأفة والر ة من الرب منه لـه أقرب بذراع ومن تقرب إ مولاه جل وعلا بقدر ذراع من الطاعات كانت ا غفرة منه لـه أقرب بباع ومن أتى أنواع الطاعات بالسرعة كا شي أتته أنواع الوسائل ووجود الرأفة والر ة وا غفـرة بالسرعة كا رولة وا أعلى وأجل»[19].

وقال الشيخ أبو سليمان أ د بن مد ا طا (٣٨٨ هـ) صاحب (معا السنن) ما نصه: « وليس معـ قول ا سلم إن ا على العرش هو أنه تعـا ـاس لـ ـه أو متمكن فيه أو متحيز جهة من جهاته، لكنه بائن من يع خلقه، وإ ا هو خ جاء به التوقيف فقلنا به ونفينا عنه التكييف إذ ﴿لَيس كَمِثْلِهِ شيءٌ وهو السمِيع البصِ ﴾[20].

وقال ا افظ ا ؤرخ ابن عساكر نقلاً عن أ عبدا ا سـ بن مـد الـدامغا (وكان أبو ا سن التميمي ا نبلي يقول لأصحابه: سكوا ذا الرجل- أي بالبـاقلا - فليس للسنة عنه غ أبداً. قال: « و عت الشيخ أبا الفضل التميمي ا نبلي ر ه ا وهو عبدالواحد بن أ ا سن بن عبدالعزيز بن ا رث يقول: اجتمع رأسي ورأس القاضي أ

([18]) صحيح ابن حبان (٥٠٤/٢).

([19]) صحيح ابن حبان (٣/ ٩٤ –٩٥).

([20]) أعلام ا ديث: كتاب بدء ا لق، باب ما جاء قوله تعا : ﴿ هو الذِي يبدأُ الْخلْق ثُم يعِيده وهو أَهونُ علَيه ﴾ (سورة الروم، الآية ٢٧) (١٤٧/٢).

بكر مد بن الطيب- يع الباقلا - على دة واحدة سبع سنـ . قـال الـشيخ أبـو عبدا : وحضر الشيخ أبو الفضل التميمي يوم وفاته العزاء حافياً مع إخوته وأصحابه وأمر أن ينادي بـ يدي جنازته: « هذا ناصر السنة والدين، هذا إمام ا سلم ، هذا الذي كان يذب عن الشريعة ألسنة ا خالف ، هذا الذي صنف سبع ألف ورقة رداً على ا لمحدين »، وقعد للعزاء مع أصحابه ثلاثة أيام فلم يـ ح، وكان يزور تربته كل يوم عة الدار» أ.هـ..[21]

وقال ا افظ أبو بكر أ د بن ا سـ البيهقي الشافعي (٤٥٨ هـ) مـا نـصه: « والذي روي آخر هذا ا ديث[22] إشارة إ نفي ا كان عن ا تعا ، وأن العبد أينما كان فهو القرب والبعد من ا تعا سواء، وأنه الظاهر فيصح إدراكه بالأدلة، الباطن فلا يصح إدراكه بالكون مكان. واستدل بعض أصحابنا نفي ا كان عنه بقول النـ (ﷺ) « أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء »، وإذا يكن فوقه شيء ولا دونه شيء يكن مكان» أ.هـ.[23]

وقال أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي شيخ ا نابلة زمانه (٥١٣ هـ) ما نصه: «تعا ا أن يكون لـه صفة تشغل الأمكنة، هذا عـ التجسيم، وليس ا ق بذي أجزاء وأبعاض يعا ا»أ.هـ.[24]

وقال القاضي الشيخ أبو الوليد مد بن أ د قاضي ا ماعة بقرطبة ا عروف بـابن رشد ا د ا الكي (٥٢٠ هـ) ما نصه: « ليس- ا - مكان، فقد كان قبل أن لمق ا كان » أ.هـ. ذكره ابن ا اج ا الكي كتابه « ا دخل ».[25]

وقال ا افظ ا ؤرخ أبو القاسم علي بن ا سن بن هبة ا الشهـ بـابن عـساكر الدمشقي (٥٧١ هـ) بيان عقيدته الـ هي عقيدة أ ا سن الأشعري نقـلاً عـن القاضي أ ا عا بن عبدا لمك ما نصه: « قالت النجارية: إن البارئ سبحانه بكل مكان

(21) تبيـ كذب ا فتري: تر ة الباقلا (ص ٢٢١).
(22) أي حديث: « والذي نفس مد بيده لو أنكم دليتم أحدكم بل إ الأرض السابعة بط على ا تبـارك وتعا »، وهو حديث ضعيف.
(23) الأ اء والصفات (ص ٤٠٠).
(24) الباز الأشهب: ا ديث ا ادي عشر (ص ٨٦).
(25) ا دخل: فصل الاشتغال بالعلم يوم ا معة (٢/١٤٩).

من غ حلول ولا جهة. وقالت ا شوية وا سمة: إنه سبحانه حـال. العـرش وإن العرش مكان لـه وهو جالس عليه فسلك طريقة بينهما فقال: كان ولا مكـان فخلـق العرش والكرسي و تج إ مكان، وهو بعد خلق ا كان كما كـان قبـل خلقـه» أ.هـ..[٢٦]

قال الإمام ا افظ ا فسر عبدالر ن بن علي ا عروف بابن ا وزي ا نبلـي (٥٩٧ هـ) ما نصه: « الواجب علينا أن نعتقد أن ذات ا تعا لا ويه مكان ولا يوصـف بالتغ والانتقال» أ.هـ.[٢٧]

وقال أيضاً: « افترى أقوام يسمعون أخبار الصفات فيحملو ا على ما يقتضيه ا س، كقول قائلهم: ي ل بذاته إ السماء وينتقل، وهذا فهم رديء، لأن ا نتقل يكـون مـن مكان إ مكان، ويوجب ذلك كون ا كان أك منه، ويلزم منه ا ركة، وكل ذلك ال على ا ق عز وجل » أ.هـ.[٢٨]

وقال الشيخ أبو منصور-فخر الدين عبد الر ن بن مد ا عروف بـابن عـساكر (٦٢٠ هـ) عن ا تعا ما نصه:«موجود قبل ا لق ليس لـه قبل ولا بعد، ولا فـوق ولا ت، ولا ولا ال، ولا أمام ولا خلف، ولا كل ولا بعض، ولا يقال م كان، ولا أين كـان ولا كيف، كان ولا مكان، كون الأكوان، ودبـر الزمـان، لا يتقيـد بالزمان، ولا يتخصص با كان» اهـ.[٢٩]

وقال الشيخ ال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر ا عروف بابن ا اجـب ا ـالكي (٦٤٦ هـ) مثنيا على العقيدة ال كتبها الشيخ العز بن عبدالسلام و ا جـاء هـذه العقيدة قول العز بن عبدالسلام: « كان - ا - قبل أن كون ا كان ودبر الزمان، وهـو الآن على ما عليه كان » أ.هـ.

ومن لة ما ذكره ثنائه قوله: «ما قاله ابن عبدالسلام هو مذهب أهل ا ق، وأن هور السلف وا لف على ذلك، و الفهم إلا طائفة ذولـة، فـون مذهبـهم

(٢٦) تبي كذب ا فتري (ص ١٥٠).
(٢٧) دفع شبه التشبيه (ص٥٨).
(٢٨) صيد ا اطر (ص٤٧٦).
(٢٩) طبقات الشافعية (٨/ ١٨٦).

ويدسونه على وف إ من يستضعفون علمه وعقله » أ.هـ ـ[٣٠]

وقال الشيخ العز بن عبدالسلام الأشعري الملقب بسلطان العلماء (٦٦٠ هـ ـ) ما نصه: «ليس- أي ا - سم مصور، ولا جوهر دود مقدر، ولا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء، ولا يط به ا هات، ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات، كان قبل أن كون المكان ودبر الزمان، وهو الآن على ما عليه كان» أ.هـ ـ[٣١]

وقال الحافظ أبو زكريا يي الدين بن شرف النووي الشافعي الأشعري (٦٧٦ هـ ـ) ما نصه «إن ا تعا ليس كمثله شيء ، م ه عن التجسيم والانتقال والتحيز جهة وعن سائر صفات المخلوق» أ.هـ .[٣٢]

وقال العلامة الأصو الشيخ أ د بن إدريس القَرا ا الكي المصري (٦٨٤ هـ ـ) أحد فقهاء المالكية ما نصه: « وهو- أي ا - ليس جهة، ونراه ن وهو ليس جهة » أ.هـ .[٣٣]

وقال الحافظ ابن حجر العسقلا الشافعي الأشعري (٨٥٢ هـ ـ) ما نصه: « ولا يلزم من كون جه العلو والسفل الاً على ا أن لا يوصف بالعلو، لأن وصفه بالعلو من جهة المع ، وا ستحيل كون ذلك من جهة ا س، ولذلك ورد صفته العا والعلي وا تعا ، و يرد ضد ذلك وإن كان قد أحاط بكل شيء علماً جلّ وعز » أ.هـ .[٣٤]

وأيضاً عند شرح حديث ال ول ما نصه: « استدل به من أثبت ا هة وقال هي جهة العلو، وأنكر ذلك ا مهور[٣٥] لأن القول بذلك يفضي إ التحيز، تعا ا عن ذلك » أ.هـ .[٣٦]

وقال أيضاً: « فمعتمد سلف الأئمة وعلماء السنة من ا لف أن ا م ه عن ا ركة

([٣٠]) طبقات الشافعية الك ى: تر ة العز ابن عبد السلام (٨/ ٢٣٧).

([٣١]) طبقات الشافعية الك ى: تر ة العز ابن عبد السلام (٨/ ٢١٩).

([٣٢]) شرح صحيح مسلم (٣/١٩).

([٣٣]) الأجوبة الفاخرة (ص ٩٣).

([٣٤]) فتح الباري (٦/ ١٣٦).

([٣٥]) أي أهل السنة وا ماعة.

([٣٦]) فتح الباري (٣/ ٣٠).

والتحول وا لول، ليس كمثله شيء » أ.هـ.[٣٧]

وقال الشيخ أبو العباس شهاب الدين أ د بن مد القسطلا (٩٣٣هـ) شرحه على صحيح البخاري ما نصه: « ذات ا م هة عن ا كان وا هة » أ.هـ.[٣٨]

وقال أيضاً ما نصه: « قول ا تعا ﴿وجوه﴾ هي وجوه ا ؤمن ﴿يومئـذٍ﴾ يـوم القيامة ﴿ناضِرة﴾ حسنة ناعمة ﴿ إ ربِّها ناظِرةٌ ﴾ بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مـسافة. أ.هـ.[٣٩]

وقال الشيخ القاضي زكريا الأنصاري الشافعي الأشعري (٩٢٦ هـ) شرحه على (الرسالة القش ية) ما نصه: « إن ا ليس سم ولا عرض ولا مكـان ولا زمـان » أ.هـ.[٤٠]

وقال أيضاً عن ا ما نصه: « لا مكان لـه كما لا زمان لـه لأنه ا ـالق لكـل مكان وزمان» أ.هـ.[٤١]

وقال كتابه فتح الر ن ما نصه: « هو تعا م ه عن كل مكان » أ.هـ.[٤٢]

---

(٣٧) فتح الباري (٧/ ١٢٤).

(٣٨) إرشاد الساري (١٥/ ٤٥١).

(٣٩) إرشاد الساري (١٥/ ٤٦٢).

(٤٠) حاشية الرسالة القش ية (ص ٢).

(٤١) حاشية الرسالة القش ية (ص ٥).

(٤٢) فتح الر ن: تفس سورة ا لك (ص ٥٩٥).

ا قدمة السابعة

أمثلة على تأويل علماء الأمة للنصوص

وقد جرى أمر علماء الأمة على تأويل النصوص ال توهم التشبيه والتمثيل، وسنورد بعضاً من أمثلة تأويل علماء أمة الإسلام، على سبيل الاختصار، لأننا لو أردنا التوسع ـ ا اتسع ا قام.

إن من ا تفق عليه عند علماء الأصول أن ا ع ينصرف عن ظاهره إذا وجدت قرينة.

فعلى سبيل ا ثال:

أ -حديث: « ا جر الأسود ا أرضه » ؟

ب_ ا ديث القدسي: « استطعمتك فلم تطعم ... » .

ج- ا ديث القدسي: « مرضت فلم تعد ... » وغ ها كث .

فإن اعتقاد ظواهر مثل هذه النصوص يوقع صاحبها فساد ا عتقد إن يلجـأ إ التأويل.

وأسوق فيما يلي أمثلة من اعتماد أئمة السلف على التأويل:

ا ثال الأول: تأويل ابن عباس رضي ا عنهما:

أولَ ابن عباس قوله تعا : ﴿يوم يكْشف عن ساقٍ﴾[٤٣] ، فقال: « يكشف عن شدة » فأول الساق بالشدة[٤٤].

ا ثال الثا : تأويل ابن عباس رضي ا عنهما:

وأول أيضاً قوله تعا :﴿ والسمآءَ بنينهـا بِأييـدٍ وإنـا لَموسِـعونَ ﴾[٤٥]، قـال: «بقوة»[٤٦].

([٤٣]) سورة القلم، الآية٤٢.

([٤٤]) ذكر ذلك عنه بسند صحيح كل من: ابن حجر فتح الباري (٤٢٨/١٣)، وا افظ ابن جرير الطـ ي تفس ه (٣٨/٢٩) حيث قال صدر كلامه على هذه الآية: «قال اعة من الصحابة والتابع مـن أهـل التأويل: يبدو عن أمر شديد».

([٤٥]) سورة الذاريات، الآية٤٧.

([٤٦]) كما تفس ابن جرير الط ي (٧/٢٧). كما نقل ا افظ ابن جرير تفس ه (٧/٢٧) تأويل لفظة (أيـد) الواردة قوله تعا : ﴿والسماَءَ بنينها بِأييدٍ وإنا لَموسِعونَ﴾ بالقوة أيضاً عن اعة من أئمة السلف منـهم:

ا ثال الثالث: تأويل ابن عباس رضي ا عنهما:

وأول أيضاً النسيان الوارد قوله تعا : ﴿ فَالْيوم ننساهم كَما نسواْ لِقَـاءَ يـومِهِم هذَا﴾[٤٧] بالترك، كما تفسـ الط ي حيث قال ابن جرير: « أي ففي هـذا اليـوم، وذلك يوم القيامة ننساهم، يقول نتركهم العذاب ... » اهـ .

فقد أول ابن جرير النسيان بالترك، وهو صرف ـذا اللفظ عن ظاهره ـ ـازي، ونقل ا افظ ابن جرير هذا التأويل الصارف عن الظاهر ورواه بأسانيده عن ابن عبـاس و اهد وغ هم[٤٨].

ا ثال الرابع: تأويل الإمام أ د ﷺ :

قال البيهقي مناقب أ د: وأنبأنا ا اكم قال حدثنا أبو عمرو بن الـسماك قـال حدثنا حنبل بن إسحاق قال عت عمي أبا عبد ا يع الإمام أ د يقول: (احتجـوا على يومئذ يع يوم نوظر دار أم ا ؤمن - فقالوا ئ سورة البقرة يوم القيامة و ئ سورة تبارك، فقلت م إ ا هو الثواب قال ا تعا : ﴿ وجاء ربك ﴾ إ ا تأ قدرته وإ ا القرآن أمثال ومواعظ » أهـ .

قال البيهقي: «هذا إسناد صحيح لاغبار عليه»:

قال: وفيه دليل على أنه كان لا يعتقد ا يء الذي ورد به الكتـاب والـ ول الذي وردت به السنة انتقالاً من مكان إ مكان كمجيء ذوات الأجسام ونزو ا، وإ ا هو عبارة عن ظهور آيات قدرته، فإ م ا زعموا أن القرآن لو كان كلام ا وصفة من صفات ذاته ز عليه ا يء والإتيان فأجا م أبو عبد ا إ ا يء ثواب قراءته الـ يريد إظهارها يومئذ فع عن إظهاره إياها جيئه. وهذا ا واب الذي أجا م به أبو عبد ا لا يهتدي إليه إلا ا ذاق من أهل العلم الُنزهون عن التشبيه» اهـ انظر مقدمـة الأ ـاء والصفات.

و هذا ا ديث ثلاث تأويلات هي: تأويل يء سورة البقرة يـوم القيامـة ا ديث الصحيح وكذلك تأويل يء سورة تبارك بالإضافة إ تأويل آية ﴿ وجاء ربك

اهد وقتادة ومنصور وابن زيد وسفيان.

(٤٧) سورة الأعراف: الآية ٥١.

(٤٨) تفسـ الط ي (٢٠١/٨).

﴾ .

وهذا ا   عن الإمام أ د قد نقله ا لال بسنده   كتاب السنة[٤٩] وابن كث أيضاً   البداية والنهاية ٣٢٧/١٠ من غ انتقاد على الرواية، كما نقل ابن حزم   (الفـصل) تأويل الإمام أ د آية ﴿وجاء ربك﴾ .

ا ثال ا امس: تأويل الإمام أ د ﷺ :

يقول حجة الإسلام الغزا : « عت الثقات من أئمة ا نابلة ببغداد يقولون إن أ د بن حنبل ر ه ا   صرح بتأويل ثلاثة أحاديث فقط:

أحدها: قوله ﷺ : «ا جر الأسود   ا   الأرض» .

والثا قوله ﷺ : «قلب ا ؤمن بن أصبع   من أصابع الر ن» .

والثالث قوله ﷺ «إ   لأجد نفس الر ن من ناحية اليمن»[٥٠] أهـ .

وحصرهم تأويلات الإمام أ د   هذه النصوص الثلاثة هو من جهة ما بلغهم فقط.

ويتضح من هذه الأمثلة وغ ها صحة وصف الإمام أ د بأنه من أعظم ا هة   عز وجل.

ا ثال السادس: تأويل الإمام أ د ﷺ :

قال ا افظ ابن كث أيضاً   البداية والنهاية: « ومن طريق أ   ا سن ا يمو عـن أ د بن حنبل أنه أجاب ا همية حـ احتجوا عليه بقوله تعا : ﴿ ما يأتيهم من ذِكْرٍ من ربهم محدثٍ إلا استمعوه وهم يلْعبونَ ﴾ قال: تمل أن يكون تـ يله إلينا هو ا دث، لا الذكر نفسه هو ا دث. وعن حنبل عن أ د أنه قال: تمل أن يكون ذكراً آخر غـ القرآن» اهـ[٥١].

ا ثال السابع: تأويل الإمام أ د ﷺ :

قال ا افظ الذه   سـ أعلام النبلاء: قال أبو ا سن عبدا لك ا يمو : قال رجل لأ عبدا - أي: أ د بن حنبل-: ذهبت إ   خلف البزار أعظه، بلغ أنه حدث   ديث عن الأحوص عن عبدا   بن مسعود قال: « ما خلق ا   شيئا أعظم... » وذكر ا ديث،

---

[٤٩] انظر تعليق الكوثري على (دفع شبه التشبيه) ص٢٨.

[٥٠] فيصل التفرقة، موعة القصور العوا . ص ١٣٦

[٥١] البداية والنهاية (٣٢٧/١٠).

فقال أبو عبدا : ما كان ينبغي أن دث ذا هذه الأيام -يريد زمن ا نـة- قـال الذه : « وا : ما خلق ا من اء ولا أرض أعظم من آية الكرسي، وقد قال أ د بن حنبل ا أوردوا عليه هذا يوم ا نة: إن ا لق واقع ههنا على الـسماء والأرض وهـذه الأشياء ، لا على القرآن»[٥٢].

كان الإمام أ د يقول عقيدته: «وا تعا يلحقه تغ ولا تبدل، ولا يلحقـه ا دود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش» [٥٣].

وقد أنكر الإمام أ د على من يقول با سم، وقال إن الأ اء مـأخوذة بالـشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على كل ذي طول وعرض و ك وتركيب وصورة وتأليف وا تعا خارج عن ذلك كله فلم ز أن يسمى جسماً روجه عـن معـ ا سمية، و ئ الشريعة ذلك فبطل [٥٤].

ا ثال الثامن: تأويل الإمام النضر بن يل ﷺ:

وهو الإمام ا افظ اللغوي من رجال الستة ولد سنة (١٢٢هـ ـ): ذكـر ا ـافظ البيهقي (الأ اء والصفات) أن النضر بن يل ا افظ السلفي قال: إن مع حديث: « ح يضع ا بار فيها قدمه» أي: « من سبق علمه أنه من أهل النار »[٥٥].

ا ثال التاسع: تأويل الإمام مالك والأوزاعي:

قال النووي شرحه لصحيح مسلم عند حديث الـ ول: « هذا ا ديث وشبهه من أحاديث الصفات وآياتا مذهبان مشهوران:

فمذهب ا مهور السلف وبعض ا تكلم : الإ ان قيقتها على ما يليق به تعا وأن ظاهرها ا تعارف عليه حقنا غ مراد ولا نتكلم تأويلها مـع اعتقادنـا ت يـه ا سبحانه عن سائر ات ا دوث.

والثا مذهب أكثر ا تكلم و اعة من السلف وهو كي عن **مالك والأوزاعي**: إ ا يتأول على ما يليق ا سب بواطنها. فعليه ا مؤول بتأويل .أي ا ذكورين.. »

---

(٥٢) سـ أعلام النبلاء (١٠ / ٥٧٨)

(٥٣) طبقات ا نابلة لأ يعلى (٢ / ٢٩٧).

(٥٤) طبقات ا نابلة لأ يعلى (٢ / ٢٩٨).

(٥٥) الأ اء والصفات (ص ٤٤٤).

اهـ. ا قصود منه؟

ا ثال العاشر: تأويل الإمام هشام بن عبيدا رضي الله عنه (ت ٢٢١هـ):

تأويل الإمام هشام بن عبيدا : قال الذه س أعلام النبلاء تر ته: « الرازي الس الفقيه، أحد أئمة السنة ». قال الذه : « قال مد بن خلف ا ـراز: عـت هشاما بن عبيدا الرازي يقول: القرآن كلام ا غ لوق، فقال له رجل: ألـيس ا يقول: ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ر م دث﴾ فقال: دث إلينا، وليس عند ا حدث.

قلت: لأنه من عِلم ا ، وعِلم ا لا يوصف با دوث » انتـهى كـلام ا ـافظ الذه (٥٦).

ا ثال ا ادي عشر: تأويل الإمام سفيان الثوري رضي الله عنه :

ذكر ا افظ الذه س أعلام النبلاء تر ة سيد ا فاظ زمانه الإمام الثوري أن معداناً سأل الإمام الثوري عن قوله تعا : ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ فقال: « علمه».

وسئل سفيان عن أحاديث الصفات فقال: «أمروها كما جاءت»(٥٧).

ا ثال الثا عشر: تأويل الإمام عبدا بن ا بارك رضي الله عنه :

روى الإمام البخاري: «حدثنا مد حدثنا عبدا حدثنا مد بن بشار عن قتادة عن صفوان بن رز عن ابن عمر رضي ا عنهما قال: بينما أنا أمشي معه إذ جـاء رجـل فقال: يا ابن عمر، كيف عت رسول ا ﷺ يذكر النجوى؟ قال: عته يقول: يدنو من ربه حـ يضع عليه كنفه ...... [قال البخاري] قال ابن ا بارك: كنفـه يعـ ستره » اهـ باختصار(٥٨).

الإمام عبدا بن ا بارك يؤول (الكنف) يقول: يع الستر .

ا ثال الثالث عشر: تأويل الإمام الترمذي رضي الله عنه .

قال الإمام الترمذي حديث: « .. لو أنكم دليتم بل إ الأرض السفلى ـبط على ا ، قرأ ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ » قال الإمام الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه..

---

(٥٦) س أعلام النبلاء (٤٤٦/١٠).

(٥٧) س أعلام النبلاء (٧ / ٢٧٤).

(٥٨) خلق أفعال العباد (ص٦١) ونقله ا افظ أيضاً فتح الباري (٤٧٧/١٣).

وفسر بعض أهل العلم هذا ا ديث فقالوا: « إ ا هـبط علـى علـم ا وقدرتـه وسلطانه، وعلم ا وقدرته وسلطانه كل مكان وهو على العرش كما وصف كتابه » اهـ [٥٩].

ا ثال الرابع عشر: تأويل الإمام سفيان بن عيينة والترمذي رضي ا عنهما:

ا روى الإمام الترمذي حديث إتيان البقرة وآل عمران كأ ما غمامتان قال :

« هذا حديث حسن غريب، ومع هذا ا ديث عند أهل العلم أنه ـيء ثـواب قراءته، كذا فسر بعض أهل العلم هذا ا ديث وما يشبه هذا من الأحاديث أنـه ـيء ثواب قراءة القرآن، و حديث النواس بن عان عن النبي ﷺ ما يدل على ما فـسروا إذ قال النبي ﷺ: وأهله الذين يعملون به الدنيا، ففي هذا دلالة أنه يء ثـواب العمـل وأخ مد بن إ اعيل أخ نا ا ميدي قال: قال سفيان بن عيينة تفس حـديث عبدا بن مسعود: ما خلق ا من اء ولا أرض أعظم من آية الكرسي، قال سـفيان: لأن آية الكرسي هو كلام ا ، وكلام ا أعظم من خلق ا من السماء والأرض » [٦٠].

ا ثال ا امس عشر: تأويل الإمام الأعمش رضي الله عنه :

روى الإمام الترمذي جامعه ا ديث ا شهور: «أنا عند ظن عبـدي ... وإن أتا شي أتيته هرولة » قال بعده: «هذا حديث حسن صحيح، ويروى عن الأعمش تفس هذا ا ديث: «من تقرب م ش اً تقربت منه ذارعاً »: يع با غفرة والر ة، وهكذا فسر بعض أهل العلم هذا ا ديث قالوا إ ا معناه يقـول: إذا تقـرب إ العبـد بطاء و ا أمرت تسارع إليه مغفر ور » اهـ كلام الإمام الترمذي[٦١].

فهذا تأويل من بعض السلف للإتيان وا رولة.

وقال ذا التأويل من بعدهم ع من أهل العلم كالطيبي ، والعيني ، وابن بطال، وابن التين والنووي وغ هم.

قال ابن دقيق العيد العقيدة: نقول الصفات ا شكلة إ ا حق وصدق على ا ع الذي أراده ا ، ومن تأو ا نظرنا، فإن كان تأويله قريباً على مقتضى لسان العرب ننكر

---

(٥٩) فة الأحوذي-ط قرطبة – (١٨٧/٩).

(٦٠) فة الأحوذي (٨ / ١٩٣).

(٦١) فة الأحوذي (٦٤/١٠) .

عليه، وإن كان بعيداً توقفنا عنه ورجعنا إ التصديق مع الت يه. وما كان منـها معنـاه ظاهراً مفهوماً من اطب العرب لمناه عليه؛ كقوله: ﴿ على ما فرطت جنـب ا ﴾ فإن ا راد به استعما م الشائع: (حق ا). فلا يتوقف له عليه. وكذا قوله: «إن قلب ابن آدم ب أصبع من أصابع الر ن» فإن ا راد به: إرادة قلب ابن آدم مـصرفة بقدرة ا وما يوقعه فيه، وكذا قوله تعا : ﴿فأتى ا بنيا م من القواعد﴾ معناه: خـرب ا بنيا م، وقوله: ﴿إ ا نطعمكم لوجه ا ﴾ معناه: لأجل ا ، وقس على ذلك ، وهـو تفصيل بالغ ، قل من تيقظ له.

وقال ا افظ الترمذي سننه: « وا ذهب هذا عند أهل العلم من الأئمـة مثـل سفيان الثوري ومالك بن أنس وابن ا بارك وابن عيينة ووكيع وغ هم أ ـم رووا هـذه الأشياء قالوا: تروى هذه الأحاديث ونؤمن ا ولا يقال كيف، وهذا الذي اختاره أهل ا ديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن ا ولا تفسر ولا تتـوهم ولا يقـال كيف، وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه » [٦٢].

هذا هو مذهب السلف ر هم ا فهم يفوضون ا ع ولا يفسرون، فأين هـذا ا ذهب من قول من يفسر وينسب تعا اليد وا ارحة والاستواء الذي هو جلـوس واستقرار و اسة ونزول و حركة وانتقال وغ ذلك من ترهات وتو ات ونقـائص يفوض كيفية ثبوت هذه النقائص للذات ا قدسة؟

فلا وز لنا أن ننفي مع ثبت بالنص حق ا تعا ، فمثلاً: إذا ورد النقل أن ا يع، وكان ما يفهمه عامة الناس من ظاهر السمع هو اتصال الأمواج الصوتية بطبلة الأذن، فلا وز أن نقول بنفي أصل هذه الكلمة جة أنه يلزم منها النقص، بل ن نثبت أصلها أي مطلق أن ا يع، وننفي أن يكون له أذن مثلاً، وننفي أن يكون أصل ع ا تعا مثل عنا (الذي هو اتصال الأمواج الصوتية بطبلة الأذن)، فا اصل أننا نثبت لـه عاً يليق لاله ون هه عن صفات ا خلوق .

هذا اللفظ الذي ليس له إلا مع واحد، أما ما تمل أكثر من مع فالواجب عند ذلك هو البحث عن ا ع اللائق با تعا ، فنصرف اللفظ عن ا ع الباطـل الـذي لا

---

(٦٢) سنن الترمذي (٦٩٢/٤).

ـوز نسبته إليه تعا   و ـمله على ا ـع   الصحيح، وهذا هو التأويل .

« والصواب: الإمساك عن أمثال هذه ا ـباحث، والتفويض إ   ا   يعها، والاكتفـاء بالإ ـان بكل ما أوجب ا   كتابه أو على لسان نبيه إثباته له أو ت يهه عنـه علـى طريـق الإ ـال وبا   التوفيق، ولو   يكن   ترجيح التفويض على التأويل إلا أن صاحب التأويل ليس جازماً بتأويله ـلاف صاحب التفويض»[٦٣]. اهـ – من كلام ابن حجر.

فالأمر أخي القارئ ليس كما يدعون من إثبات   ـيع الصفات وإن كان فيها مشا ـة ـميع ا ـخلوقات ولا يقول ـذا إلا معاند قاصر العلم بأقوال السلف[٦٤].

أسأل ا   ا ـداية لنا   يعاً والنفع ا   هذا الكتاب (**نقض قواعد التـشبيه**) حـ يطمئن قلب القارئ على أنه   الت يه متبع للسلف.

---

(٦٣) فتح الباري: ٣٨٣/١٣.

(٦٤) بل هم ا ـفون   هذا رأي الشيخ ابن تيمية نفسه   الفتوى ا ـموية؟

القسم الثا

مناقشة التدمرية: الرد على قواعد التشبيه

- الطريق إ الت يه وإثبات الصفات.
- قاعدة الإثبات ا فصل والنفي ا مل.
- القاعدة الأو : أن ا سبحانه موصوف بالإثبات والنفي، والنفي فـ رده ليس فيه مدح ولا كمال.
- القاعدة الثانية: حكم الألفاظ الواردة نصوص الشرع وال تـ رد النصوص.

القاعدة الثالثة: الكلام الظاهر.

- القاعدة الرابعة: اذير الشيخ حول نفي ا ع الظاهر للنـ صوص وتطبيـ ق مسأل الفوقية والاستواء
- نصوص نفي الفوقية ا سية وا هة عن ا سبحانه.
- القاعدة ا امسة: ا كم وا تشابه.
- القاعدة السادسة: قواعد عامة الإثبات والنفي.
- القاعدة السابعة: السمع والعقل.

الطريق إ التـ يه وإثبات الصفات

التدمرية:

« وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها، إثبات ما أثبته من الـصفات مـن غـ **تكييف** ولا ثيل، ومن غ ريف ولا تعطيل » [١].

« ففي قوله تعا : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ رد للتشبيه والتمثيل » [٢].

« فطريقتهم تتضمن الإثبات إثبات الأ اء والصفات، مع نفي اثلة ا خلوقات إثباتا بلا تشبيه»[٣].

شرح الشيخ الأصل الأول وهو التوحيد الصفات، وبين أنّ هذا الأصل هـذا الباب أن يوصف ا ا وصف به نفسه و ا وصفته به رسلُه نفيا وإثباتا، فيثبت ما أثبته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه.

وليت من نسبوا أنفسهم التزموا تنفيذ هذا الكلام، لكننا نراهم اثبتوا ا هة وقـالوا: فوقية حقيقية، كما أثبتوا ا د وا دود، وقيام ا وادث ذات ا سـبحانه، و اسـته سبحانه للعرش ولغ ه... إ وكل ذلك يتوقفوا فيه عند نصوص الكتاب والسنة بـل اوزوا ما ورد من النصوص إ ما استقّر سلفًا أذها م من أحكام التخيل وا س دون قواطع النظر والعقل.

يقول الشيخ: « وقد علم أن طريقة السلف.. من غ تكييف ولا ثيل ... » [٤].

وقد صح هذا عن السلف بالفعل فهم ينفون التصور والتخيل من أساسه وقالوا عـن النصوص ا تشا ة: « نؤمن به كما جاء من غ أن يفسر أو يتوهم»، و« تـروي هـذه الأشياء ويؤمن ا فلا يقال كيف» [٥] فالسلف ينفون أصل الكيف والتصور لا أن هنـاك كيفا لكننا لا ندريه فلا نقوم بتعيينه.

---

(١) التدمرية، قيق الإثبات للأ اء والصفات وحقيقة ا مع ب القدر والشرع، لابن تيمية، قيق مد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ٧ من بعد مقدمة ا قق.

(٢) التدمرية، ص٨.

(٣) التدمرية، ص٨.

(٤) التدمرية، ص٧.

(٥) سنن الترمذي كتاب التفسـ ، باب رقم ٦ حديث رقم ٣٠٤٥: « الر ن ملأى ... » ا ديث .

لأن الكيف هو وضع الشيء بالنسبة إ غ ه أو وضع أجزائه بالنسبة إ بعضها وهو يستلزم التجسيم.

وقول الشيخ: « بلا ثيل » فالتمثيل هو ا ساواة التامة الصفات الذاتيـة ونفـي التمثيل لا ينفي التشبيه من وجه ما، إ ا ينفي التشبيه التام ا ساوي للتمثيل.

أما قوله تعا ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ فهو نفي للتشبيه والتمثيل معا وا بالغة النفي تستأصل التشبيه من أساسه سواء كان من جهة واحدة أو أكثر مع نفيها للماثلة، وهذا ما فهمه السلف كنعيم بن اد – شيخ البخاري- وغ ه.

قاعدة الإثبات ا فصل والنفي ا مل

صرح الشيخ بأن ا سبحانه وتعا بعث رسله بإثبات مفصل ونفي مل ومن هنا أثبت السلف له سبحانه الصفات على وجه التفصيل ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل يقصد إ الاً انتهى عناه[٦].

وردا على ذلك هاك قول الإمام أ د بن حنبل نفيه ا فصل، فمن أين أتوا ـذه القاعدة ال خالفوا فيها إمام أهل السنة حينما نفوا نفياً تفـصيلياً الأخـذ با ـشا ة ا وارح:

ورد طبقات ا نابلة (٢/٣٩١) ذكر عقيدة الإمام أ د بن حنبل ﷺ:

كان الإمام أ د - ر ه ا تعا - يقول: تعا يدان، و ا صفة له، ليستا ارحة وليستا ركبة ولا جسم **ولا من جنس الأجسام، ولا من جنس ا دود والتركيـب والأبعاض وا وارح، ولا يقاس على ذلك، ولا ـه مرفق ولا عضلة، ولا فيما يقتضي ذلك من إطلاق قو م يد إلا ما نطق به القرآن الكر ا.هـ**

فهذه القاعدة (الإثبات ا فصل والنفي ا مل): غائية وليست علميـة، أي وضـعت لغاية من أجل قيق هدفهم، فلا يوجد القرآن ما نع النفي التفصيلي عنـد ا اجـة لذلك، كما لا يوجد فيه ما نع الإثبات الإ ا .

فأنت تعلم أن ا تعا نفى بعض النقائص عن ذاته الشريفة تفصيلاً، فقال جل شأنه: ﴿لَم يلِد ولَم يولَد﴾، كما نفى إ الاً فقال: ﴿ولَم يكُن له كُفُوا أحد﴾، وأثبـت لنفـسه الكمال الكلي العام قوله: ﴿ا لا إلَه إلا هو الْحي الْقَيوم﴾، كما نزه تفصيلاً فقـال: ﴿لا تأخذُه سِنةٌ ولا نوم﴾. و ا نسب اليهود البخلَ تعا رد عليهم تفـصيلاً فقـال: ﴿غُلت أيديهم ولُعِنوا بِما قَالُوا بلْ يداه مبسوطَتانِ ينفِق كَيف يشاءُ ﴾.

وما مع نفي الزوجة والولد عن ا تعا ؟ أليس هذا نفياً تفصيلياً ليدفع به زعمهـم القائل بإثبا ما له ت ه وتعا عن ذلك؟

إذن فطريقة النفي ا مل غ مسلم ا على الإطلاق، وهذا الذي فهمه السلف كما

---

(٦) التدمرية، ص ٨.

رأيت قول الإمام.

وزيادة التوضيح فإن هناك نقطة أصولية غفلوا عنها وهـي أن كلمـة الإ ـال مصطلح معروف عند علماء الأصول، وحاصلها: أ ا لا كن العمل ا لاحتياجهـا إ بيان،ولكون ا مل غ مبـ ، وغ ا بـ لا يعملُ به لعدم وضوح ا ع ولذلك فـإ م لا دون حرجاً عندما يثبتون تفصيلاً ما ينا هذه الآيات الكر ة، فيقول: ا له حد وهـو جهة و حيز و ل ا وادث ذاته، وغ ذلك ا يناقض ظاهر الآيات الكر ة. وما ذلك إلا بسبب هذه القاعدة الباطلة، وهي الإثبات التفصيلي والنفي الإ ا .

مع أنه لو يكن القرآن إلا قوله تعا ﴿ لَيس كَمِثْلِـهِ شَـيْءٌ وهـو الـسمِيع الْبصِ ﴾[٧]، لكفى نفي ا شا ة وا ماثلة، فا و سبحانه وتعا يقل ليس مثله شيء وإ ا جاءت الآية بكاف التشبيه أي ليس من شبيه ثله، فإذا كان ا ثل تنعاً فشبهه أشـد امتناعاً، وهذا فهم أئمة السلف، كالإمام أ د ر ه ا .

فالنفي الآيات نفي كلي أو عام، وهذا النفي قاطع و ب العمل به، وليس مـلاً ولا يتوقف على بيان لأن العموم مبـ والنفي الكلي قاطع له فهذه الآيات محكمـةُ غ متشا ة وواضحة وبينة لا تتوقف علي بيان، لذا فهي ا َكم عندنا.

- اشتراك الأ اء بـ ا الق وا خلوق:

التدمرية: « وإذا كان من ا علوم بالضرورة أن الوجود ما هو قـد واجـب بنفسه وما هو دث كن يقبل الوجود والعدم، فمعلوم أن هذا موجود وهذا موجود ولا يلزم من اتفاقهما مسمى الوجود أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا، بل وجود هذا صه ووجود هذا صه واتفاقهما اسم عام لا يقتضي اثلهما مسمى ذلك الاسم عند الإضافة والتخصيص ولا غ ه... »[٨] .

وبعدها ضرب الشيخ مثلا للعرش، والبعوض فكلا ا يـسمى (شـيء) ويـسمى (موجود)، ولا يلزم من ذلك (أن هذا مثل هذا) ويفسر الشيخ سبب ا اد التسمية بينهما بقوله « ... بل الذهن يأخذ مع مشتركًا كليا هو مسمى الاسم ا طلق ... »[٩].

---

(٧) سورة الشورى، الآية (١١).

(٨) التدمرية، ص٢٠ ط. العبيكان.

(٩) التدمرية، ص٢١ .

ضرب الشيخ مثلاً آخر بأن ا سبحانه ى نفسه (حيا) و ى بعض عباده (حيا) وليس هذا ا ي مثل هذا ا ي. « ... وإ ا يتفقان إذا أطلقا وجردا عن التخصيص »[١٠] يش إ ا ع ا شترك الكلي الذي هو مسمى الاسم ا طلق.

اتبع ذلك بقوله: « ولكن ليس للمطلق مسمى موجود ا ارج ولكـن العقـل يفهم من ا طلق قدرا مشتركا ب ا سميين وعند الاختصاص يقيد ذلك ا يتميز به ا الق عن ا خلوق وا خلوق عن ا الق، ولابد من هذا يع أ اء ا وصفاته: يفهم منها ما دل عليه الاسم با واطأة والاتفاق - يش إ الإطلاق والتجريد- وما دلّ عليه بالإضافة والاختصاص ا انعة من مشاركة ا خلوق للخالق شـيء مـن خصائـصه سـبحانه وتعا »[١١].

فالشيخ قد صرح بأن الذهن يشتق ا يلاحظه خارجا معا مشتركة هي أمور مطلقة ا قق الذهن والعقل – وإن كان ينفي وجودها ا ارج- وهذا يع بكل وضوح وقوع الاشتراك حقائق الأشياء ا ارجية- الأ اء والصفات- على الأقل ذهنا وعقـلا وتصورا و يلا، وإ ا الفرق هو الكيفيات التابعة والعارضة ذه ا قائق.

وهذا أصل التشبيه والتجسيم ويؤكده قوله موضع لاحق: « ... وكل ما نثبته من الأ اء والصفات فلابد أن يدل على قدر مشترك تتواطأ فيه ا سميات ولولا ذلك ا فهم ا طاب ..»[١٢].

إذن هناك قدر من التواطؤ والاتفاق ب حقيقة ا وحقيقة ا خلوق و ذا القدر تطلق بعض الأ اء على ا الق وعلى ا خلوق وإ ا صل عدم التماثل من اخـتلاف صـورة الوجود عند الشيخ.

ونقول إن هناك نوعان من الأ اء أو الصفات.

الأول: ما هو نتيجة النظر العقلي الكلي مثل القدرة والإرادة والعلم.

فالقدرة مثلا هي: فعل ما توجهت له إرادة الذات.

والعلم مثلا وهو: إدراك الذات للمعلومات وعدم خفاء شيء منها وهكذا فهي أ اء

---

(١٠) التدمرية، ص٢١ فما بعدها.

(١١) التدمرية، ص ٢٢.

(١٢) التدمرية، ص٤٢.

تدل على معان تتعلق با راد وا علوم وا قدور ولا تورث ذهن قائلها تصورا ولا يلا ولا سيما ولا تشبيها قيقة من أطلق عليه الاسم أو الصفة.

الثا : الألفاظ مثل: يد وقدم وساق ووجه وضحك ونزول وهذه الألفاظ ليس هناك من ينكر أ ا من صفات الأجسام وأن ا قمًا ا ارج بالنسبة للمخلوقات وأن العقل البشري جرد اعها يتبادر إليه ا عا ا سية ا خزونة فيه ويدرك ا تصورا خيالـه، وأي قدر مشترك ب ا وخلقه هذه الأ اء كما سبق اعتراف الشيخ لا يكون إلا تشبيها و سيما ولنر وذجا آخر يتمم الصورة من كلام الشيخ التدمرية يقول:

« والكبد والطحال و و ذلك هي أعضاء الأكل والشرب فالغ م ه عن ذلك م ه عن آلات ذلك لاف اليد فإ ا للعمل والفعل وهو سبحانه موصوف بالعمـل والفعـل ...»[١٣] أ.هـ.

وأنت ترى أن مفهوم الإمام أ د عبارته السابق نقلها « تعا يدان و ا صفة له ليست ارحة ... ولا يقاس على ذلك ... » ا كم باختلاف حقيقـة ا ـو سبحانه ا اصة اختلافًا تاما عن سائر ا قائق ا وجودة با خلوقات ولا يترك شيئا مشتركا بينه وبينها – كما تذكر التدمرية- لأنه لو اشترك معها شيء اثلها وهذا باطل.

([١٣]) التدمرية، ص ١٤٣-١٤٤.

القاعدة الأو
أن ا سبحانه موصوف بالإثبات والنفي،
والنفي مفرده ليس فيه مدح ولا كمال

قال التدمرية:

« القاعدة الأو : أن ا سبحانه موصوف بالإثبات والنفي » ضرب مثلا على الإثبات: ﴿ بكل شيء عليم ﴾، و ﴿ على كل شيء قدير ﴾ ، ... ومثلا على النفي ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ .

اتبع ذلك بقوله: « وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتا، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال لأن النفي ا ض عدم ض، ... ولأن النفي ا ض يوصف به ا عدوم وا متنع، وا عدوم وا متنع لا يوصف دح ولا كمال ».

عقب ذلك بقوله: « فلهذا كان عامة ما وصف ا به نفسه من النفي متضمنا لإثبات مدح» (١٤) .

أخذ الشيخ ضرب أمثلة سة من القرآن طبق عليها فكرته:

١- ﴿ ا لا إله إلا هو ا ي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ قال « فنفي السنة والنوم يتضمن كمال ا ياة والقيام...

٢- ﴿ ولا يؤده حفظهما ﴾ قال: « وذلك مستلزم لكمال قدرته و امها لاف ا خلوق القادر إذا كان يقدر على الشيء بنوع كلفة ومشقة ... » .

٣- ﴿ لا يعزب عنه مثقال ذرة السماوات ولا الأرض ﴾ قال: « نفي العزوب مستلزم لعلمه بكل ذرة السماوات والأرض.

---

(١٤) التدمرية، ص٥٧ فما بعدها.

٤- ﴿ ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ قال: فإن نفي مس اللغوب – الذي هو التعب والإعياء – دل على كمال القدرة و اية القوة»[١٥].

وقبل أن ننتقل إ ا ثال ا امس نقول:

يتضح من كلام الشيخ ما يريد التعب عنه فإذا قلنا:

﴿ ا ليس سم ﴾ فسيكون سؤاله: فماذا هو إذن؟ عليكم بذكر صفة الإثبات ا قابلة ذا النفي.

ونقول له قاعدته غ مطردة فقد أعلمنا سبحانه أن حقيقته غ معلومة لنا ولا مدركة كما هو واضح من رد سيدنا موسى عليه السلام على فرعون.

ويتبع ا سمية باقي صفات اثلة ا وادث من التحيز وكونه جهة وله حد وي ل و.. إ .

ونقول له النفي موجود قوله تعا :

﴿ يلد ﴾ فأين الإثبات!

وقوله ﴿ و يولد ﴾ فأين الإثبات.

فقوله « أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتا»[١٦] ض خط فنفى النقص كمال ومدح بغ شك وقد احتجت الرسل على أقوامهم دوث الأجسام يقول أبو الأنبياء عليه السلام ﴿ إ وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض ﴾ وقال غ ه من الأنبياء ﴿ قالت م رسلهم أ ا شك فاطر السماوات والأرض ؟ ﴾ .
وقال سبحانه ﴿ خلق السماوات والأرض با ق تعا عما يشركون ﴾ استدل ا العلماء على أنه تعا ليس من قبيل الأجرام والأجسام وغ ذلك كث ، كن مراجعته كتب التفس .
أتى الشيخ با ثال ا امس وهو قوله تعا : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ قال: « إ ا نفي الإدراك الذي هو الإحاطة »[١٧].

([١٥]) التدمرية، من ص٥٨-٥٩.

وهنا يستطع الشيخ أن يقدم الإثبات ا قابل ذا النفي فاستنبط إثبات الرؤية من الآية لأن الآية تنفها !!

قال الشيخ « وإذا تأملت ذلك وجدت كل نفي لا يستلزم ثبوتا هو ا يصف ا به نفسه، فالذين لا يصفونه إلا بالسلوب – يش إ نفي ا سمية وتوابعها- يثبتوا ا قيقة إ ا مودا بل ولا موجودا » [18].

فهذه خلاصة ث الشيخ: أن كل موجود لابد أن يكون جسما وأن يدرك با واس، وبالتا فمن ينفي ا سمية وتوابعها عن ا يكون منكرا لوجوده.

نقول له أين الثبوت قوله تعا : ﴿ يلد ﴾ ؟ وقوله تعا : ﴿ و يولد ﴾ وأين قوله تعا : ﴿ و يكن له كفوا أحد ﴾ ؟ وأين قوله تعا : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ؟!.

إن الإثبات هنا ا قابل للنفي هو أن ماهية الذات الإ ية وحقيقتها أعظم وأجلّ من أن يدركها أو يفهمها أحد من ا لق.

فقوله تعا : ﴿ يلد و يولد ﴾ نفي للجنسية والبعضية.

فنفي ا نسية يوضح بصفة قاطعة أن ماهيته وحقيقته تعا ليست من جنس ماهية أو حقيقة أي فرد من لوقاته اا بعضها يدخل ماهيته وحقيقته ا سمية ولوازمها من التحيز وا هة و.. ا .

([16]) التدمرية، ص٥٧.

([17]) التدمرية، ص٥٩.

([18]) التدمرية، ص٥٩.

وقوله سبحانه ﴿ و يكن له كفوا أحد ﴾ وكذا قوله: ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ نصان قاطعان عامان ينفيان أي تشابه أو اثل   ا قيقة وا اهية، وكذا   حقائق الصفات بـ ا   سبحانه و لموقاته.

إن الذي   يقله الرجل هنا هو: طا ا أن النفي عام ومطلق وا ديث عن حقيقة الذات وا اهية، فالإثبات ا قابل هو الت يه العام وا طلق قيقة وماهية الذات، وأن الذات الإ ية ا قدسة لعلو شأ ا وعظم قدرها   ل حقيقتها وما هيتها عن الإدراك والفهم بواسطة عقول ا لق.

وقد سبق نقل عبارة الإمام أ د بن حنبل   الصفات.

القاعدة الثانية

حكم الألفاظ الواردة نصوص الشرع وال ترد النصوص

قال التدمرية:

«إن ما أخ به الرسول عن ربه فإنه ب الإ ان بـه سـواء عرفنـا معنـاه أو نعرف»[١٩].

وهذا على سبيل الإ ال مقبول ليس فيه كب إشكال، و ن نؤمن به بشكل إ ا مع ضوابط لابد منها عند عدم معرفة ا ع وهي:

أ- أن لا نتصرف اللفظ بالزيادة أو النقصان أو التبديل والتغي ا نظنه مرادف له.

فإذا قال : (استوى على العرش) لا نزيد ن كلمة (بذاته).

وإذا قال: «ي ل إ السماء الدنيا ... » لا نزيد ن (بذاته).

ب- أن لا ينتزع اللفظ أو العبارة من سياق الكلام ا نقول وتوضع سياق كـلام آخر، فالسياق قد يتضمن أسباب ورود هذا اللفظ والقرائن الدالة على ا ـراد والغـرض الذي سيق الكلام لأجله، فرب مبلغ أوعى من سامع.

ج- أن عدم معرفتنا للمع ا قصود من هذه الألفاظ أو العبارات يفرض علينا عـدم بناء تصورات ومفاهيم عليها ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ لذا كان السلف يقولون أمثال ذلك: « أمروها كما جاءت » ، و « أومن بكتاب ا على مراد ا ».

د- عدم معرفتنا عا بعض النصوص لا نع إ اننا ا طا ا أ ا وردت الـشرع كما ذكر الشيخ وأيضا لا نع إ اننا وإقرارنا عا النصوص الأخرى الواضحة ا كمة، والأدلة القاطعة ال تثبت سبحانه صفات الكمال وتنفي عنه صفات النقص ا ستحيلة عليه فالتفويض لا يتعارض مع الت يه.

قال الشيخ: « وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها ... » [٢٠].

قلنا: قد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن ا سبحانه ليس سم ونصوصهم ذلك كث ة ومنها ما نقلناه وما سننقله عن الإمام أ د كمثال على ذلك.

---

(١٩) التدمرية ص ٦٥. طبعة العبيكان.

(٢٠) التدمرية ص ٦٥ ط. العبيكان.

قال الشيخ: « وما تنازع فيه ا تأخرون نفيا وإثباتا فليس على أحد بل ولا له أن يوافق أحدا على إثبات لفظ أو نفيه، ح يعرف مراده، فإن أراد حقا قبل، وإن أراد باطلاً رد وإن اشتمل كلامه على حق وباطل يقبل مطلقا و يرد يع معناه بل يوقف اللفظ ويفسر ا ع كما تنازع الناس ا هة والتحيز وغ وذلك »[21] أ.هـ.

قلنا: كلامه مراجعة الألفاظ وا صطلحات قبولا ونفيـا أي ع ـصر صـحيح بعرضها على نصوص الكتاب والسنة وإ اع الأمة ... إ .

لكن الشيخ ضرب وذج لذلك، الأول: ا هة، الثا : التحيز[22] .

ولنا عليه ملاحظات:

أ- أن الا اع يقع هات النقطت بل إ اع من يعتد بإ اعه من الأمة على نفي ا هة ا ترتب على نفيهم التحيز الذي نشأ من إ اعهم أن ا ليس سم.

ب- أنه بدأ ناقشة مصطلح ا هة أولا التحيز ثانيا بعكس الترتيب ا فروض.

ج- أنه اهل تعريفات أهل ا ق للجهة والتحيز وذكر تعريفات واحتمالات أخرى من عنده ليبطلها فلا يبقى إلا رأيه هو !!

ولنناقش كلام الشيخ النموذج

أولاً: التحيز:

قال الشيخ: « إن أراد ا وزه ا خلوقات فا أعظم وأك ... »[23] ورد عليه ا يفهم منه أن حجم ا الق أك من حجم ا خلوقات وأتى بنصوص أن ا يقبض الأرض ويطوي السماوات يوم القيامة وأن كرسيه وسع السماوات والأرض وهي كلها نصوص سيقت لبيان عظمة ا الق وقدرته وتضاؤل قدر ا خلوقات بالنسبة إليه و تـرد هـذه النصوص أبدا لبيان حجم ا الق سبحانه وها ن نرى اليوم أن الأجسام يتلاشى حجمها وتتحول إ طاقة جبارة كما دث الانفجارات النووية اليوم أك ملاي ا رات من طاقة الأجسام قبل و ا وكلها الأجسام والطاقة وغ ها من لوقات ا سبحانه فليست

([21]) التدمرية ص٦٦ ط. العبيكان.

([22]) مثال ا هة ص ٦٦ ، ومثال التحيز ص٦٧ من التدمرية، العبيكان.

([23]) التدمرية، ص٦٧.

العظمة ك الأحجام أو صغرها.

ذكر رأيه هو فقال: « وإن أراد أنه منحاز عن ا خلوقات أي مباين ا منفـصل عنها ليس حالا فيها فهو سبحانه ... »[٢٤].

و يذكر رأي العلماء ا يز وهو: الفراغ ا توهم مع اعتبار حصول ا سم فيه[٢٥]، أو ما نقوله الآن من أنه ا جم الذي يشغله ا سم.

وليس ذلك ك عناء على أي عقل أن يـ ه ا سبحانه عنه بعد أن رأينـا مـن ا خلوقات من لّ عن ا سمية ولوازمها من الأحجام وتعظم قدرتـه وقوتـه بتلاشـي حجمه وحيزه وقد قامت الأدلة القاطعة على نفي ا سمية وبالتـا التحيـز عـن ا سبحانه.

ثانيًا: ا هة:

قال الشيخ: « فيقال ن نفى ا هة: أتريد با هة أ ا شيء موجود لوق؟ فا ليس داخلا ا خلوقات. أم تريد با هة ما وراء العا ؟ فلا ريب أن ا فوق العا بائن مـن ا خلوقات وكذلك يقال ن قال إن ا جهة: أتريد بذلك أن ا فوق العا ؟ أو تريد به أن ا داخل شيء من ا خلوقات؟ فإن أردت الأول فهو حق وإن أردت الثا فهو باطل»[٢٦]أ.هـ

و اهل الشيخ تعريف العلماء للجهة بأ ا أطراف الامتدادات[٢٧] وهذا ا ع خـاص بالأجسام وقد نفينا عن ا سبحانه ا سمية وبالتا التحيز فضلا عن ا هة، فنفى ا هة عن ا هو ا ق الذي لا ريب فيه وأ عت عليه الأمة.

وذهب الشيخ إ إيراد لفظ (فوق) الوارد النصوص ليستدل به على أنـه فوقيـة حسية وبالتا يكون له جهة سبحانه وتعا ، مع أن الفوقية ترد عان أضـعفها الفوقيـة ا سية قال تعا حاكيا كلام فرعون وقومه: ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ مـع أن القـبط يركبوا اكتاف بـ إسرائيل بل الآية أوضحتها بأ ا فوقية القهر والاستعباد وعلـى ذلـك

([٢٤]) التدمرية، ص٦٨.

([٢٥]) انظر دستور العلماء ٤٧/٣ ط. العلمية.

([٢٦]) التدمرية ص٦٦-٦٧ ط. العبيكان.

([٢٧]) دستور العلماء ٢٨٨/١ ط. العلمية.

ينبغي فهم ما ينسب إ ا سبحانه من فوقية بالنسبة إ لموقاته يعا فالإنسان منا قد مل طفله على عاتقه ر ة به ولا يدل ذلك على قوة الطفل وقدرته ولا قهره لأبيه !!

فحاصل مع ا هة عنده أن لا تكون ا هة أحد ا خلوقات، وقال إ ا ليست إلا ما فوق العا ، فا هة إما فوق أو ت أو أو ال أو قدام أو خلف، فمن أين حصر أن ا هة هي ما فوق العا ،لِم لَم تكن ا هة خلف أو أمام أو ت، لا دليل كما ترى على ا صر الفوق، بل هذا ض كم منهم.

وعلى كل حال، ومعلوم لديك أيها القارئ ما الذي يريده با باينـة، وهـو معـ الانفصال ا سي با سافة وا د.

فانظر أخي الكر إ قول الإمام أ د بن حنبل إمام أهل السنة فقد جاء فيما قالـه أبو الفضل التميمي رئيس ا نابلة ببغداد: « وأنكر أ د على من قال با سم، وقال: إن الأ اء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم - يع ا سم - علـى ذي طول وعرض و ك وتركيب وصورة وتأليف، وا سبحانه وتعا خارج عن ذلك، و ئ الشريعة ذلك »[28]. ا.هـ

و طبقات ا نابلة لأ يعلى: « أن الإمام أ د كان يقول: وا تعا يلحقه تغ ولا تبدل ولا يلحقه ا دود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش ». ا.هـ[29]

فانظر رعاك ا كيف نزه الإمام أ د بن حنبل ربه سبحانه تعا عن التغ والتبدل، ونفى يع ا دود ومنها حد الفوق كما يقولون، بل والعرش أيضاً، فأين هذا ا فهوم ا يقولون.

---

(٢٨) نقله ا افظ البيهقي مناقب الإمام أ د.

(٢٩) طبقات ا نابلة، أبو يعلى، (٢٩٧/٢).

القاعدة الثالثة: الكلام الظاهر

إن بيان ا قصود من الظاهر وا ؤول مهم جداً هذا ا وضوع، وقد اعتمدوا مـ ن ضمن ما اعتمدوا عليه على مفهوم الظاهر وا ؤول، وهو ا ب أصلاً على مـ سألة ا ـ از وا قيقة، ال هي مسألة لغوية أصلية قررها علماء اللغة وبينوها.

فا از ثابت اللغة العربية و كل اللغات، رغماً عن إنكارهم.

وقد تقدم أن أقوى علامات ا قيقة (ا ع الظاهر للفظ) هو تبادر ا ع فوروده إ الذهن أولا مع عدم وجود قرائن تصرف هذا ا ع عن الذهن هو أك دليل على أن ا ع ا قيقي ا باشر هو مقصود ا تكلم من هذا اللفظ.

والسبب ذلك أن ا عا ا ختلفة لنفس اللفظ لا تكون واضحة أو راسخة ذهن ا ستمع بنفس القوة ولا تتوارد هذه ا عا عند اع اللفظ بنفس السرعة بل تتوارد أولا ا عا ا سية إن وجدت إن وجدت قرائن سياق تش إ أن ا تكلم يقصد معـ آخر، فسيتجه الذهن إ ا ع ا ديد الذي دلت عليه القرائن وهذا ا ع ا ديد هو ا ع ا رجوح لغويا إذ أن الذهن ينصرف إليه إلا بعد أن فحص ا ع الأول ووجد الشواهد ال تدله على أن ا تكلم لا يقصده ومن هنا قسم علماء أصول الفقه الألفاظ ا نطوق ا إ نص وظاهر، فالنص ما أفاد مع لا تمل غ ه كزيد لدلالته على شـ خص بعينـ ه، والظاهر: ما أفاد مع مع احتمال أن يكون ا راد غ ه (احتمالا مرجوحا) قـ ال الإمـ ام الشافعي (الرسالة) خلال كلامه عن ألفاظ القرآن: « وظاهرا يعرف سياقه أنه يراد به غ ظاهره» أي يراد باللفظ ا ع ا رجوح بدلالة السياق وما قد يكـ ون فيـ ه مـ ن القرائن.

ويطلق على اللفظ هذه ا الة (مؤول) أي: آل معناه إ كذا ع رجع إ كذا وعلى أسلوب التعب هذه ا ال ا از ومن أهم أسباب استخدام ا از التعب القرآ أو حديث رسول ا ﷺ :

أ- ثقل لفظ ا قيقة على اللسان.

ب- بلاغة لفظ ا از وتصويره للمعا الكث ة بأقل عدد من الألفاظ.

ج- جهل ا خاطب اللفظ ا قيقي للمع ا طلوب.

د- عدم ألفاظ موضوعة (حقيقة) اللغة للتعب عن ا ع ا طلوب نقله للمخاطب.

هـ - عظم مع التعب ا ازي ورفعته.

قال صاحب التدمرية:

« القاعدة الثالثة: إذا قال القائل: ظاهر النصوص مراد أو ظاهرها ليس ـراد، فإنـه يقال: لفظ (الظاهر) فيه إ ال واشتراك:

فإن كان القائل يعتقد أن ظاهرها التمثيل بصفات ا خلـوق ، أو مـا هـو مـن خصائصهم، فلا ريب أن هذا غ مراد.

ولكن السلف والأئمة يكونوا يسمون هذا ظاهرا ولا يرتضون أن يكـون ظـاهر القرآن وا ديث كفرا وباطلا، وا سبحانه وتعا أعلم وأحكم من أن يكـون كلامـه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر وضلال » [٣٠].

قلنا : ليس اصطلاح (الظاهر) إ ال ولا اشتراك وقد نبه على أن ا قصود به ا ع الراجح للفظ والذي يتبادر إ ذهن ا خاطب فور اعه خاليا عن القـرائن اللفظيـة أو ا عنوية (ا الية) سياق الكلام وال قد تدل على مع آخر خلافه.

قوله: « فإن كان القائل يعتقد أن ظاهرها ... »[٣١] .

سبق وأن أشرنا إ أن ا عا ا ختلفة للفظ ترد إ ذهن ا ستمع فور اعه اللفـظ حسبما هي تزنة ذاكرته فترد ا عا ا سية أولا يليها ا عا ا باشرة ال لا تـاج كب عناء لترتيبها ولا قرائن لتمحيصها وليس ورود هذه ا عا علـى ذهـن ا ـستمع باختياره ح نقوم بلومه على ذلك.

قوله: « ولكن السلف والأئمة يكونوا يسمون هذا ظاهرا »[٣٢].

قلنا: بل كانوا يسمونه ظاهرا وقد سبق نقل مثال من كلام الشافعي وهو من أئمـة السلف بلا ريب ومن أراد التوسع فعليه بكتاب (ا از) للعلامة الدكتور عبـد العظـيم ا طع .

---

(٣٠) التدمرية، ص٦٩.

(٣١) التدمرية، ص٦٩.

(٣٢) التدمرية،ص٦٩.

قول الشيخ « ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن وا ديث كفـرا وبـاطلا، وا سبحانه وتعا أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منـه إلا كفر وضلال»[٣٣].

قلنا: هذا الكلام غ دقيق وعليه العديد من ا ؤاخذات منها:

الأو أن ا رفوض أو ا ستحيل هو ظاهر ا ع اللغوي للفظ ما، وا علوم أن مفردات الألفاظ هي الوحدات البنائية للغة يعبر ا ا ؤمن والكافر ونطق ا الشعراء والفصحاء ا اهلية وكان ذه الألفاظ معان ددة معروفة نزل ا القرآن وكان من أساليب التعب القرآ ا قيقة وا از كما ذكرنا وكذا ا ديث النبوي الشريف.

الثانية أن ا ع ا ستفاد من القرآن أو ا ديث لا يفهم من رد معا الألفاظ ا فردة أو التركيبات ذات ا ع ا باشر فقط ح يصح هذا القول، بل هناك **قرائن لفظية وقرائن حالية تفهم من السياق وكذا قرائن معلومة ذهن ا خاطب** قبل توجيه هذا الكلام إليه **كل هذه القرائن تشارك ديد ا ع وتوجيه ذهن ا ستمع إ ا ع اللائق ا طلوب فهمه**، ومن أهم هذه القرائن قرينة التنـزيه.

ذكر الشيخ ا ؤولة الذين ينفون ا ع ا ستحيل على ا سبحانه ويثبتون له ا ع اللائق حسبما دلت عليه القرائن بناء على أن ظاهر بعض النصوص **غ مراد**، وكان من كلامه عنهم: « علون ا ع الفاسد ظاهر اللفظ ح علوه تاجا إ تأويـل ـالف الظاهر ولا يكون كذلك».

قلنا: معا الألفاظ معروفة ومتداولة منذ عرفت اللغة العربية والذي جد من علمـاء أهل السنة ا م دونوا قواعد الت يه وفصلوها تبعا لسلف الأمة تطبيقا لفهمهم الـصحيح لنصوص الكتاب والسنة.

ضرب وذجا لذلك: « ... كما قالوا قوله: « عبدي جعت فلـم تطعمـ ...» ا ديث» يش إ ما رواه مسلم صحيحه عن أ هريرة ﵁ قال: قال رسول ا ﷺ : « إن ا عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعد . قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العا ؟! قال أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده؟ أمـا

(٣٣) التدمرية، ص٦٩.

علمت أنك لو عدته لوجدت عنده؟

يابن آدم استطعمتك فلم تطعم . قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العا ؟!
قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟

يابن آدم استسقيتك فلم تسق . قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العا ؟!
قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي »[٣٤].

ويستفاد من ا ديث:

أولاً: العبد ا ذكور ا ديث مؤمن إذ أن الكفار لا يكلمهم ا يوم القيامة.

ثانيا: لكلام ا سبحانه الوارد ا ديث ظاهر الف قواعد الإ ان ذا استنكر العبد ا ؤمن هذا الظاهر و ث عن ا ع الآخر (ا رجوح) ا تفق مع قرينة الت ية كما قلنا و ّا يهتد إليه سأل ربه (كيف أعودك وأنت رب العا ؟!) طالبا للتأويل الصحيح.

وهذا رد حاسم على كلام الشيخ أول القاعدة وإثبات لظاهرة التبادر.

ثالثًا: الفة الظاهر اللغوي وصرفه للمع الصحيح ا طابق لعقيدة الإ ان ضوء القرائن كما أسلفنا هو ما علمه الرب سبحانه لعبده ونقل رسوله ﷺ ذلك إلينا تعليما وإرشادا كي ذو حذوه.

رابعا: ليس كل ا ؤمن درجة واحدة من الفهم وا عرفة كما أ م ليسوا درجة واحدة من الإ ان، وإ ا تتفاوت أقدار العلماء الربانيين ملاحظة القرائن ال تقود إ ا ع ا راد.

خامسا: على الرغم من وضوح قرينة الت يه الآخرة فقد غاب مع الكلام عن العبد ح سأل الرب سبحانه، أما الدنيا فقرينة الت يه وغ ها من القرائن اللغوية وا الية قد تغيب عن ا ؤمن بعض ا واضع فعليه تفويض علم ا ع ا قصود إ ا سبحانه مع اعتقاد نفي الظاهر ا ستحيل على ا .

موقف صاحب التدمرية من هذا ا ديث:

---

(٣٤) التدمرية، ص٦٩، وص ٧٢-٧٣.

يقول: « وهذا صريح أن ا سبحانه وتعا رض و ع » [٣٥].

قلنا: قد علم العبد ا ؤمن هذا من قبل أن يفسره ا له من واقع إ انه الـسابق و ـا عجز عن معرفة التأويل ا طابق للإ ان سأل ربه كيف أعودك؟ ... » .

قال الشيخ: « ولكن مرض عبده وجاع عبده فجعل جوعه جوعه ومرضه مرضه مفسرا ذلك بأنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، ولو عدته لوجدت عنده. فلم يبق ا ديث لفظ تاج إ تأويل » [٣٦].

قلنا: أو ليس كل ذلك تأويل؟!! و اذا يعمم الشيخ هـذه القاعـدة الـواردة ا ديث إ كل ما يناظرها النصوص؟ هل ينتظر ا ؤمن إ يوم القيامة كي يعلم وقتها التأويل الصحيح بعد فوات فرصة الاستفادة ضمون هذه النصوص الشرعية الدنيا؟

وعلى نفس الأسلوب سار الشيخ فضرب أمثلة أخرى من الأحاديث الـ تثبـت ضرورة التأويل مثل «ا جر الأسود ا الأرض.. »، وحديث « قلوب العباد ب أصبع من أصابع الر ن » زاعما أ ا أدلة على عدم التأويل[٣٧].

وصل الشيخ إ ثالثة الأثا فزعم أن كل صفة أو إضافة أو لفظ أطلق علـى ا سبحانه يعهم على قدم ا ساواة التعامل فلو نفينا ظاهر أي لفظ فيجب نفي البـاقي مساويا ب صفات الأجسام (ال يسميها صفات الأعيان) وصفات ا عـا كالقـدرة والعلم وا ياة وغ ذلك.

فقال الشيخ: « وبيان هذا أن صفاتنا منها ما هي أعيان وأجسام وهي أبعاض لنـا، كالوجه واليد ومنها ما هي معان وأعراض وهي قائمة بنا كالسمع والبصر والكلام والعلم والقدرة.

إن من ا علوم أن الرب ا وصف نفسه بأنه حي عليم قدير، يقل ا سلمون: إن ظاهر هذا غ مراد، لأن مفهوم ذلك حقه مثل مفهومه حقنـا » أي أن الـشيخ يصرح بأن مدلول صفات حي عليم قدير حق ا سبحانه اثل فهوم صفات ا يـاة

---

(٣٥) التدمرية، ص٧٣.

(٣٦) التدمرية، ص٧٣.

(٣٧) التدمرية، ص٦٩-٧١.

والعلم والقدرة حقنا؟ عقب على ذلك بقوله: « فكذلك ا وصف نفسه بأنه خلق آدم بيديه يوجب أن يكون ظاهره غ مراد، لأن مفهوم ذلك حقه كمفهومـه حقنا، بل صفة تناسبه »[٣٨].

أي أن صفة اليدين أو العين أو القدم وما إ ذلك ا ورد بعـض النـصوص ويسميه الشيخ بصفات الأعيان والأجسام – حسب تعب ه- كما أ ا أجزاء وأبعاض لنـا تقوم لنا بوظائف دة فهي كذلك تعا عما يقول ولكن ا يناسـبه سـبحانه لأن «نفسه ا قدسة ليست مثل ذوات ا خلوق ».

فإذا استرجعنا ما قاله الشيخ الأصل الأول ا يدل على أن كل موجود فلابـد أن يكون جسما، بالإضافة إ ما ذكره قاعدته السادسة ا قال: « والكبد والطحال و ذلك هي أعضاء الأكل والشرب فالغ ا ه عن ذلك م ه عن آلات ذلك لاف اليـد فإ ا للعمل والفعل وهو سبحانه وتعا موصوف بالعمل والفعل إذ ذلك مـن صـفات الكمال...» [٣٩].

نقول:

أولاً: قامت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة والعقل على نفي ا سمية ولوازمها عن ا سبحانه.

ثانيا: قامت أدلة الكتاب والسنة والعقل أيضا على نفي إمكان إدراك ا لق قيقـة الذات الإ ية ا قدسة ﴿ولا يطون به علما﴾، ﴿لا تدركه الأبـصار﴾، فـسرها بعـض ا قق بالبصائر أي العقول.

ثالثًا: ورد النهي عن التفكر حقيقة الذات الإ ية والإمساك عن ذلك وعما يؤدي إليه وصرف العقول إ التفكر آلاء ا لإدراك عظمته سبحانه.

رابعا: صفات الأعيان والأجسام ا شرحها الشيخ تعطي التصور والتخيل للـذات الإ ية كما يتضح ا نقلناه عنه آنفا، فكيف تتساوى بصفات تثبت الكمال الصرف ولا تعطي هذا التصور أو التخيل قيقة الذات الإ ية مثل صفات العلم والإرادة والقدرة؟

---

(٣٨) التدمرية، ص٧٧-٧٨.

(٣٩) التدمرية ص١٤٣-١٤٤ ط. العبيكان.

والآن فلننظر إ   كلام السلف الصا :

قال الإمام ابن ا وزي   السه   ا تشا ات[٤٠]: وليس ا لاف   اليـد وإ ـا ا لاف   ا ارحة، وليس ا لاف   الوجه وإ ا ا لاف   الصورة ا سمية، ولـيس ا لاف   الع ، وإ ا ا لاف   ا دقة. ا.هـ، وقال يروى أن أ د ابـن حنبـل ﵁ سأله ولده عبدا   عن قول رسول ا ﷺ « خمرت طينةَ آدم بيدي أربع   صباحا » فقال له: يا ب ، إذا سألت عن اليد   جهة ا الق فينبغـي أن تقطـع يـدك أو بئهـا كمك.......إ [٤١].

فأنت هنا ترى الإمام أ د صرف النص عن الظاهر البديهي إ   الظاهر ا قيقي الذي يليق با   مسألة اليد، فقوله ينبغي أن تقطع يدك أو بئها   كمك، خوفاً من التشبيه، لأنه   يظهر له ما يدعونه ظاهراً   هذه النصوص سواء من القرآن أو ا ديث وذلك نفي للتشبيه، فلا ينفع ادعاءهم أن هذا النص ظاهر فإذا كان إمام السلف أنكر أن هذا ظـاهر فكيف يدعون أنه ظاهر.

---

(٤٠) الس ابن ا وزي   ا تشا ات، ص٥٤.

(٤١) الس ابن ا وزي   ا تشا ات، ص٥٩.

القاعدة الرابعة

ـاذير الشيخ حول نفى ا ـعـ الظاهر للنصوص

وتطبيق مسألـ الفوقية والاستواء

يقول الشيخ: « أن كثـ ا من الناس يتوهم بعض الصفات أو كـثـ منـها أو أكثرها أو كلها أ ا اثل صفات ا خلوق ، يريد أن ينفى ذلك الذي فهمه، فيقـع أربعة أنواع من ا اذير »[٤٢].

سبق الكلام على ظواهر معا الألفاظ وهي ا عا ا قيقية للألفاظ – بدون القرائن اللفظية أو ا الية- وأول علاما ا تبادرها إ ذهن السامع فور اع اللفظ الدال عليها.

أما حالة وجود القرائن اللفظية أو ا الية وأشهر هذه القرائن وأ ها: قرينة تـ يـه ا سبحانه عن النقائص ومشا ة ا خلوقات أو اثلته ا، وكذا تـ يهه سبحانه عـن أن تدركه البصائر والعقول أو يط به الأفهام أو تتخيله الأوهام، فعند وجود هذه القرائن – وهي بلا شك موجودة إذا كان ا ديث عن ا سبحانه- يصـ لزاما على ا ؤمن أن ينفى ا عـ ا ستحيل على ا سبحانه بغـ تردد ولا توقف أمامه أمران:

الأول: أن يؤمن ويعتقد بتـ يه ا سبحانه عن السوء ويفوض ديد ا عـ ا قصود من النصوص إ ا سبحانه ويقتفي أثر سلفنا الصا رضوان ا عليهم تناو م أكثر هذه النصوص.

الثا : أن يصرف معـ اللفظ إ أحد ا عا الثابتة له تعا وال يشـ إليها السياق وتدل عليها القرائن بشرط عدم ا ـزم بتحديد هذا ا عـ لاحتمال أن يكون ا قصود مـن النص معـ آخر صحيح أيضا.

ومثال ذلك قوله تعا ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ أوله العلماء عية العلـم بـدليل سياق الآية ونظائر ذلك كثـ .

ويهمنا أن نؤكد أن ألفاظ (الظاهر) و(ا ؤول) و(ا قيقة) و(ا از) هي مـصطلحات لأهل العلم حددوا ا معا خاصة تواضعوا عليها ولا مشاحة الاصطلاح فليس معـ (ا قيقة) أن يكون مقابلها ا ذكور الآية أو ا ديث هـو (الكـذب) !!، ولا معـ (الظاهر) ا نفى أحيانا أن يكون هو ا عـ ا فهوم من النص القرآ أو النص النبوي ككل

---

(٤٢) التدمرية، ص٧٩.

!! بغ نظر إ القرائن والسياق وأ ها قرينة الت يه ا ذكورة.

ومن هنا تعلم قيمة كلام صاحب التدمرية قاعدته الثالثة والرابعة عن أن الـسلف «لا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن وا ديث كفرا وباطلا، وا سبحانه وتعا أعلـم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر وضـلال»[٤٣] واتبع ذلك ديث (عبدي جعت فلم تطعم ..) الذي ظهر منه ا ع ا ـستحيل فطلب العبد من ربه البيان والإيضاح فعلمه سبحانه التأويل !!!

ذكر الشيخ اذيره فقال:

« أحدها- كونه مثّل ما فهمه من النصوص بصفات ا خلوق ، وظـن أن مـدلول النصوص هو التمثيل.

الثا : أنه إذا جعل ذلك هو مفهومهما وعطّله بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة با ، فيبقى مع جنايته على النصوص وظنه السيء الذي ظنـه با ورسوله- حيث ظن أن الذي يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل- قد عطل مـا أودع ا ورسوله كلامهما من إثبات الصفات وا عا الإ ية اللائقـة ـلال ا سبحانه.

الثالث- أنه ينفى تلك الصفات عن ا بغ علم فيكون معطلا ا يـستحقه الـرب تعا »[٤٤].

ونقول للشيخ فاتتك أمور:

الأول: أن ا نفي هو ما ثبت يقينا – عندنا وعندك أيضا حسب تصر ك- أنه غـ مقصود من النص ففيم إذا هذه ا َلَبة والصياح؟!!

الثا : لا اطبنا ا سبحانه ولا رسوله ﷺ با همل ولا ا ليس له مع خـصوصا وأن كل هذه النصوص يعها أتت مقام التعليم والبيان والإرشاد!!

الثالث: إذا كان ا ع الذي نفيناه عن ا سبحانه غ مقصود بـاعترافكم وا عـ ا ؤول ا صروف إليه اللفظ غ مقصود أيضا بزعمكم فأين ا ع ا قصود؟! خـصوصا وأ ا ب أن تكون صفة كمال تشعر بالتعظيم والإجلال للذات ا قدسة وتكون هذه

---

(٤٣) التدمرية ص٦٩ ط. العبيكان.

(٤٤) التدمرية ص٧٩-٨٠ط. العبيكان.

الصفة ا علاقة بسياق النص الذي وردت فيه.

الرابع: يع ا واضع ال وردت ا ألفاظ تشعر ظواهرها اللغوية خـارج الـسياق با سمية وبالنقص، تكن هذه الألفاظ – ال يـسميها الـشيخ بـصفات الأعيـان والأجسام- مقصودة لذا ا بل وردت لبيان معا أخرى ثابتة النص، و يرد نص القرآن الكر أو السنة ا طهرة يقول مثلا: اعلموا أن ساق ، أو اعلموا أن ء أو عينان أو أء !

بل الوارد بالتصريح والتحديد: (اعملوا أن ا على كل شيء قدير) (واعلموا أن ا يعلم ما أنفسكم فاحذروه) وهكذا.

أتى الشيخ إ ذوره الرابع فقال:

« الرابع: أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات ا ـوات وا مـادات أو صفات ا عدومات، فيكون قد عطل صفات الكمال ال يستحقها الرب تعـا ومثلـه با نقوصات وا عدومات وعطّل النصوص عما دلت عليه من الصفات، وجعل مدلو ا هو التمثيل با خلوقات... فيكون ملحدا أ ائه وآياته » (٤٥).

ونقول للشيخ:

أولا: أين الدليل الشرعي أو العقلي أن كل موجودٍ لابد وأن يكون جسما؟ وأن مـا ليس سم فهو معدوم؟

وهل هناك دليل من أي نوع أو شبه دليل على أنه ليس هناك لموقـات ليـست أجساما وقد تكون أقوى وأشد من الأجسام ا لا يقارن؟! وتؤثر الأجسام وتقهرها!!

وأمامنا وذج ول ا ادة إ طاقة وبالعكس كما ثبت بالعلم ا ادي ا ديث.

أ يقل ا سبحانه ﴿ و لق مالا تعلمون ﴾ ؟ فهل حدد سبحانه قدرته ا لق أو إرادته للخلق بأن يكون ا خلوق جسما؟

ثانيا: نطالب الشيخ – أو من يقوم مقامه- ببيان وجه الكمال صفات الأجسام أو الأعيان كما يسميها خصوصا وأنه يعترف أن كل صفات ا صفات كمال بل كمـال مطلق وليس كمال نسـ ككمال ا خلوقات.

---

(٤٥) التدمرية ص٨٠-٨١ ط. العبيكان.

وتقول إذا كان الشيخ يقول تدمريته لاحقا:

« والكبد والطحال و ـو ذلك هي أعضاء الأكل والشرب، **فالغ ا ه عن ذلـك م ه عن آلات ذلك.**

لاف اليد فإ ا للعمل والفعل وهو سبحانه وتعا موصوف بالعمل والفعـل إذ ذلك من صفات الكمال، فمن يقدر أن يفعل أكمل ن لا يقدر على الفعل »[٤٦] **.**

وقال قبل ذلك بأسطر قليلة : « وقد تقدم أن كل كمال ثبت خلوق فا الق أو به وكل نقص ت ه عنه لوق فا الق أو بت يهه عن ذلك » [٤٧].

ونقول لصاحب التدمرية: جل ا وتعا عما تقول، ليس الأمر كمـا صـرحت واعترفت، بل الأقوى والأكمل الفعل و ام القدرة أن يكون بغ مباشرة وآلة وأرشدنا سبحانه إ ذلك بقوله: ﴿ إ ا أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ [٤٨].

ثالثًا: يكرر الشيخ ما ذكره قاعدته الأو من أن الاشتراك النفـي والـسلوب يوجب ا ماثلة فقال هناك « فالذين لا يصفونه إلا بالسلوب يثبتوا ا قيقـة إ ـا مودا **بل ولا موجودًا.** وكذلك من شاركهم بعض ذلك كالذين قالوا: إنه لا يتكلم، أو لا يري، أو ليس فوق العا ، أو يستو على العرش. ويقولون: ليس بداخل العا ولا خارجه ولا مباين للعا ولا ايث له، إذ هذه الصفات كن أن يوصف ـا ا عـدوم وليست هي مستلزمة صفة ثبوت... إ [٤٩].

ويقول هنا فيما نقلناه عنه هذه القاعدة الرابعة عمن ينفى عن ا صفات الأجسام أنه يصفه بصفات ا عدومات وأنه عطل صفات الكمال... ومثله با عدومات[٥٠].

نقول: أين قواعد العلم أو استدلالات العقل أو نصوص الشرع نقول أين وجـد الشيخ أن الاشتراك النفي يوجب ا ماثلة أو ح ا شا ة؟!! وما هو هذا العدم الـذي يقيس الشيخ عليه ؟!! أننا نقول إن سبحانه وتعا ذاتا موصوفة بصفات الاثبات مـن

---

(٤٦) التدمرية ص١٤٣-١٤٤ ط١ العبيكان.

(٤٧) التدمرية ص١٤٢ ط العبيكان.

(٤٨) الآية ٨٣ من سورة يس.

(٤٩) التدمرية، ص٥٩.

(٥٠) التدمرية، ص٨٠.

العلم والقدرة والإرادة وا ياة وليست سم، ولو كانت جسما ا منعنا عن التفكـر الذات الإ ية ولا يلها أو تصورها سبحانك ربنا وتعاليت.

وبعد أن نقلنا اذير الشيخ وقبل أن ننتقل إ تطبيقه لقاعدتـه مـسألة الفوقيـة والاستواء نقول: إنه ب على الشيخ وعلى غ ه أيضا أن يس على قاعدة ثابتة واحـدة التعامل مع نصوص الشرع وليس أن ترع قاعدة يطبقها على عدد مـن النـصوص لتعطيه نتائج يرغبها ينتقل إ نصوص أخرى نفس ا وضوع!! فيضرب بالقاعـدة الأو عرض ا ائط و ترع قاعدة أخرى، وهكذا.

قال الشيخ: « مثال ذلك: أنّ النصوص كلها دلّت على وصف الإله بالعلو والفوقية على ا خلوقات واستوائه على العرش، فأما علوه ومباينته للمخلوقات فيعلم بالعقل ا وافق للسمع، وأما الاستواء على العرش فطريق العلم به هو السمع، وليس الكتاب والـسنة وصف له بأنه لا داخل العا ولا خارجه ولا مباينه ولا مداخله » [٥١]اهـ.

ولذلك إذا قلنا إن ا فوق لوقاته ا كان وا هة وا يز، فإن ا كـان وا هـة وا يز هنا ليست مفهومة من نفس الفوقية، أي لا وز أن عل الفوقية هي الدليل علـى إثبات ا كان وا يز وا هة، بل ب أن نثبت هذه الأمور بأدلة أخرى غ مطلق الفوقية، تأ الفوقية لتدل على النسبة الثابتة بـ مكان ا إذا ثبت ومكان غ ه، هل هو فوقه أم ته أم ينه أم يساره.. إ ، وأما القول كما يقول- بأن الفوق هو بعينه دليل على ا هة فهو رد مغالطة بينة وجهل دلولات الألفاظ، وقول بغ علم. قال ا تعا ﴿ وهـو الْقَاهِر فَوق عِبادِهِ ﴾ (الأنعام: من الآية١٨).

فكلمة الفوق تستعمل للدلالة على اعتبار يطرأ على وصف أصلي، وبـذلك فـإن ادعاءهم بأنه قام الدليل من العقل والسمع على اتصاف ا تعا با هة رد مغالطة.

وإليك نصوص نفي الفوقية ا سية وا هة عن ا سبحانه: (يدل ظاهرهـا علـى الكون السفلي)

١- قوله تعا : ﴿إن ا مع الذين اتقوا والذين هم سنون ﴾ [٥٢].

٢- قوله تعا : ﴿... وإن ا ع ا سن ﴾[٥٣] .

([٥١]) التدمرية ص٨١ ط العبيكان.

([٥٢]) سورة النحل، الآية ١٢٨.

٣- قوله تعا : ﴿... وهو معكم أينما كنتم ﴾ [٥٤] .

٤- قوله تعا : ﴿ما يكون من وى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا سة إلا هو سادسهم ولا أد من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا... ﴾[٥٥] .

٥- قوله تعا : ﴿وإذا سألك عبادي ء فإ قريب ﴾[٥٦].

٦- قوله تعا : ﴿و ن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾[٥٧] .

٧- قوله تعا : ﴿و ن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ﴾[٥٨] .

٨- قوله تعا : ﴿... واسجد واقترب ﴾[٥٩] .

٩- وقال تعا : ﴿وناديناه مِن جانِبِ الطُورِ الأيمنِ﴾[٦٠].

١٠- وقال تعا : ﴿نودي من شاطئ الوادي الأ ن البقعة ا باركة من الشجرة أن يا موسى إ أنا ا رب العا ﴾[٦١].

١١- وقال تعا ﴿فأينما تولوا فثم وجه ا ﴾[٦٢].

١٢- البخاري من حديث أنس ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام رأى امة القبلة فشق ذلك عليه حـ رؤي وجهه، فقام فحكّه بيده. فقال: «إن أحـدكم إذا قـام صلاته فإنه يناجي ربه» أو: «إن ربه بينه وبـ القبلة» .

صحيح البخاري، كتاب الصلاة باب: حك البزاق باليد من ا سجد جزء من حديث رقم (٤٠٥) وقد نقل شيخ الإسلام ابن حجر قول الإمام ا طا تأويل ا ـديث: « معناه أن توجهه إ القبلة مفض بالقصد منه إ ربه فصار التقدير: كأن مقصوده بينه وبـ قبلته » أهـ.

و أحد روايات ا ديث (... فإن ا تلقاء وجهه) و كن أن يكون تأويل (فإن ا تلقاء

---

[٥٣] سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

[٥٤] سورة ا ديد، الآية ٤.

[٥٥] سورة ا ادلة، الآية ٧.

[٥٦] سورة البقرة، الآية ١٨٦.

[٥٧] سورة ق، الآية ١٦.

[٥٨] سورة الواقعة، الآية ٨٥.

[٥٩] سورة العلق، الآية ١٩.

[٦٠] سورة مر ، الآية ٥٢.

[٦١]

[٦٢] سورة البقرة، الآية ١١٥.

وجهه): فإن ر ة ا أو ثواب ا قبل وجهه فلا سن بالأدب أن يهدي ا لملك العظـيم إليك هدية فتقابلها بأن تتفل مقابلتها بل يقبح ذلك.

ويؤيد هذا التأويل ما رواه الترمذي عن أ ذر عن الن ﷺ قال: (إذا قام أحدكم إ الصلاة فلا سح ا صى فإن الر ة تواجهه) » حديث حسن

١٣- وفيه من حديث ابن عمر رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام رأى بصاقا جـدار القبلة فحكه، أقبل على الناس، فقال: «إِذَا كَانَ أَحدكُم يصلي فَلاَ يبصق قِبلَ وجهـهِ، فَإِن ا تعا قِبل وجهِهِ إِذَا صلى » [٦٣].

١٤- و صحيح مسلم وغ ه من حديث أ هريرة رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والـسلام رأى امة قبلة ا سجد فأقبل على الناس، فقال: «ما بالُ أَحدِكُم يقُوم مـستقْبِلَ ربـه فَيتنخع أَمامه، أ ب أَحدكُم أَن يستقْبلَ فَيتنخع ـ وجهه » [٦٤].

١٥- و الصحيح من حديث أ موسى الأشعري رضي الله عنه : «يا أيها الناس اربعـوا على أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تـدعون يعـاً قريبـاً، وهـو معكم»[٦٥].

و رواية: «والذي تدعونه أَقْرب إ ـ أَحدِكُم مِن عنقِ راحِلَةِ أَحدِكُم » [٦٦].

١٦- و الصحيح: «أنا عند ظن عبدي ، وأنا معه ح يذكر »[٦٧] .

([٦٣]) نفس موضع ا ديث السابق صحيح البخاري حديث رقم (٤٠٦).

([٦٤]) صحيح مسلم، كتاب الصلاة- باب النهي عن البصاق ا سجد جزء من حديث رقم (١٢٠٦).

([٦٥]) صحيح مسلم، كتاب الدعوات– باب استحباب خفض الصوت بالذكر جزء من حديث رقم (٦٧٣٣).

([٦٦]) نفس موضع ا ديث السابق برقم (٦٧٣٨)، وكذلك رواه البخاري صحيحه كتاب الدعوات – باب الدعاء إذا علا عقبه وكذلك كتاب ا هاد باب ما يكره من رفع الصوت التكب و ثـلاث مواضـع أُخر، وكذلك أخرجه أصحاب السنن.

([٦٧]) أخرج مسلم صحيحه عن أ هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ا ﷺ : « يقول ا عز وجل: أنا عند حـسن ظن عبدي ، وأنا معه ح يذكر إن ذكر نفسه ذكرته نفسي، وإن ذكر ملإ ذكرته مـلإ هم خ منهم، وإن تقرب إ شـ اً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتا شي أتيته هرولة» كتاب الدعوات – باب ا ثّ على ذكر ا تعا . وكذلك البخاري صحيحه كتاب التوحيد – باب ذكر الن ﷺ وروايته عن ربه، والترمذي سننه كتاب الدعوات – باب حسن الظن بـا يقـول الإمام النووي شرحه للحديث: هذا ا ديث من أحاديث الصفات ويستحيل إرادة ظاهره، وقـد سـبق الكلام أحاديث الصفات مرات. ومعناه: من تقرب إ ّ بطاع تقربت إليه بر والتوفيق والإعانة، وإن

١٧- وحديث ا ريض: «أما علمت أنك لوعدته لوجدت عنده» [٦٨].

١٨- و الترمذي حديث العنان، وفيه ذكر الأرض السبع وأن ب كل أرض كما ب السماء والأرض، قال عليه الصلاة والسلام: «والذِي نفْسِي بِيدِهِ لَو دلى أحـدكُم بِحبلٍ لَوقَع علَى ا سبحانه وتعالَى» [٦٩].

١٩- ا ديث القدسي الشريف: «أنا جليس من ذكر » .

٢٠- ا ديث الشريف: «قلوب العباد ب أصبع من أصابع الر ن يقلبها كيـف شاء».

قلت: وهذه القلوب الأرض بغ شك.

٢١- ا ديث الشريف: « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » .

٢٢- ا ديث الشريف: « احفظ ا ده اهك ... » .

وغ ها نصوص الكتاب والسنة كث وكلها قاضية بكون ا الأرض حـ أن الآية الكر ة ﴿ هو الذي خلق السموات والأرض ستة أيام استوى على العرش، يعلم ما يلج الأرض وما رج منها وما ي ل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينمـا

زاد زدت، فإن أتا شي وأسرع طاء أتيته هرولة أي صببت عليه الر ة وسبقته ا و أحوجـه إ ا شي الكث الوصول إ ا قصود وا راد أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه. أ. هـ ـ ....ط دار الغد العر .

(٦٨) أخرجه مسلم صحيحه، كتاب (الأدب) باب عيادة ا ريض.

(٦٩) نص ا ديث عند الترمذي: « ... والذي نفس مد بيده لو أنكم دليتم بل إ الأرض السفلى بط علـى ا » قرأ ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ [ا ديد: ٣] وقد رواه أيـضا عـن ا سن عن أ هريرة أ د مسنده والط ا معجمه والبيهقي الأ اء والصفات انظر سـنن الترمـذي كتاب (التفس) باب (ومن سورة ا ديد) من حديث قتادة قال حدث ا سن- يع البصري- عن أ هريرة، وقال الترمذي هذا حديث غريب من هذا الوجه.

يقول الإمام البيهقي (الأ اء والصفات) بعد ذكره ديث أ هريرة: «والذي روى آخر هذا ا ـديث إشارة إ نفي ا كان عن ا تعا وأن العبد أينما كان فهو القرب والبعد من ا تعا سواء، وأنه الظـاهر فيصح إدراكه بالأدلة، الباطن فلا يصح إدراكه بالكون مكان. واستدل بعض أصحابنا نفي ا كان عنـه بقول الن ﷺ : « أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء »، وإذا يكن فوقه شـيء ولا دونه شيء يكن مكان » أ هـ . ص ٤٠٠.ط. الكردي.

ويقول الإمام أبو بكر بن العر العارضة: «وا قصود من ا أن نسبة الباري مـن ا هـات إ فـوق كنسبته إ ت، إذ لا ينسب إ الكون واحدة منها بذاته» أ. هـ .

كنتم وا ا تعملون بص ﴾[٧٠]. ذكرت أن ا سبحانه استوى على العرش نـصت على أنه معنا أينما كنا نفس الآية.

كيف نتعامل مع النصوص؟

(أ) ا سلك الأول: الأخذ بظواهر النصوص ويلزمنا حينئذ إما الترجيح بـ أدلـة الكون السفلي وأدلة الكون العلوي أو ا مع بينها.

أولا: الترجيح بـ الأدلة: وبالنظر إ أن النصوص الدالة على الكون السفلي أكثـر من النصوص الأخرى فيكون ا سبحانه موجوداً الأرض بذاته – تعا عن ذلـك – **وهذا لا نقول به نافاته للت يه.**

ثانياً: ا مع بـ النصوص الدالة على الكون العلوي والسفلي: فيكون ا سـبحانه موجوداً بذاته كل مكان – أرضنا والأرض السابعة و السماء وفوق العـرش ... - كظواهر الآيات: ﴿وهو ا السموات و الأرض﴾[٧١]، ﴿ وهو الذي السماء إله و الأرض إله﴾[٧٢]، ﴿ ... ألا إنه بكل شيء يط﴾[٧٣] **وهذا أيـضاً لا نقـول بـه نافاته للت يه.**

(ب) ا سلك الثا : الت يه وهو مذهب أهل ا ق:

وهو أن ا سبحانه م ه عن ا كان وا دود والتحيز وما إ ذلك فهو سبحانه كان موجوداً وليس ة عرش ولا اء ولا أرض – قال عليه السلام: « كـان ا ولا شـيء غ ه» أخرجه البخاري – و دث له سبحانه صفة بعد خلقها، وهو الآن على ما عليه كان.

وإذا كانت النصوص الدالة على الكون السفلي مصروفة عن ظاهرها بقرينة ت يه ا وتعظيمه وتفسر ا عية أو الأقربية ا ذكورة النصوص عية العلم أو النـصرة والتأييـد وكذلك الأقربية وغ ها حسب القرائن الواردة نفس النصوص، فكـذلك النـصوص الواردة الكون العلوي: (السماء) أو (على العرش) مصروفة والتقدير بالقرائن الواردة نفس النصوص.

يقول الإمام شهاب الدين بن جهبل رده على استدلال بعضهم على الفوقية ا سية بقوله تعا : ﴿ افون ر م من فوقهم﴾ : »الفوقية ترد عني :

---

(٧٠) سورة ا ديد، الآية ٤.

(٧١) سورة الأنعام، الآية ٣.

(٧٢) سورة الزخرف، الآية ٨٤.

(٧٣) سورة فصلت، الآية ٥٤.

أحد ا: نسبة جسم إ جسم، بأن يكون أحد ا أعلى والآخر أسـفل. ىعـ أن أسفـل الأعلى من جانب رأس الأسفل. وهذا لا يقول به من لا ـسم. وبتقـدير أن يكون هو ا راد وأنه تعا ليس سم فلم لا وز أن يكون (من فـوقهم) صـلة لـ ـ (افون) ويكون تقدير الكلام: افون من فوقهم ربهم. أي أن ا وف من جهة العلـو وأن العذاب يأ من تلك ا هة.

وثانيهما: ىع ا رتبة، كما يقال (ا ليفة فوق السلطان) و(السلطان فـوق الأمـ) وكما يقال جلس فلان فوق فلان، والعلم فوق العمل، والصياغة فوق الدباغة. وقد وقع ذلك قوله تعا حيث قال: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾[٧٤] و يطلع أحدهم على أكتاف الآخر، ومن ذلك قوله تعا : ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾[٧٥] وما ركبت القـبط أكتاف بـ إسرائيل ولا ظهورهم[٧٦] أ. هـ

قلت: ووقع ذلك أيضاً قوله تعا اطباً ا ؤمن : ﴿فلا نوا وتدعوا إ الـسلم وأنتم الأعلون وا معكم ... ﴾[٧٧].

يقول الإمام الكوثري تعقيبا على حديث ا ارية:»وأما عدم صحة الاحتجاج بـه إثبات ا كان له تعا فلا اه القائمة ت ه ا سبحانه عن ا كان وا كانيات والزمان والزمانيات. قال ا تعا : ﴿ قل ن ما السموات والأرض قل ﴾[٧٨] وهذا مشعر بأن ا كان وكل ما فيه ملك تعا . وقال تعا : ﴿وله ما سكن الليل والنهار﴾[٧٩] وذلك يدل على أن الزمان وكل ما فيه ملك تعا .

فهاتان الآيتان تدلان على أن ا كان وا كانيات والزمان والزمانيات كلها ملـك تعا ، وذلك يدل على ت يهه سبحانه عن ا كان والزمان كما (أساس التقديس) للفخر الرازي » ا.هـ

وقد استنبط إمام ا رم عبد ا لك ا وي ت ه ا سبحانه عن ا هة من يه ﷺ عن تفضيله على يونس بن م عليه السلام، ولفظ البخاري « لا يقولن أحدكم إ خ من

(٧٤) سورة الزخرف، الآية ٣.

(٧٥) سورة الأعراف، الآية ١٢٧.

(٧٦) ا قائق ا لية ص ٥٤.

(٧٧) سورة مد، الآية ٣٥.

(٧٨) سورة الأنعام، الآية ١٢.

(٧٩) سورة الأنعام، الآية ١٣.

يونس بن م ». يقول الإمام ا وي : « إن هذا ا ديث يدل على أن الن ﷺ وهو عند سدرة ا نتهي يكن بأقرب إ ا من يونس عليه السلام وهو بطن ا وت قعـر البحر، فدل ذلك على أنه تعا م ه عن ا هات وإلا ا صح النهي عن التفـضيل » أ. هـ وتابعه على ذلك الفهم واستحسنه الكث من أئمة أهل ا ق منهم القاضي ابن العر والقاضي عياض والقرط والسبكي والكوثري.

ونسوق إليك هنا بعضًاكلام أئمة السلف:

قال الصحا ا ليل وا ليفة الراشد سيدنا علي رضي الله عنه (٤٠هـ) ما نصه: (كـان- ا - ولا مكان، وهو الآن على ما- عليه- كان أ.هـ.. أي بلا مكان[٨٠].

وقال أيضاً: « إن ا تعا خلق العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته » أ هـ[٨١].

قال الإمام ا تهد أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه (١٥٠هـ) أحد مشاه علمـاء السلف إمام ا ذهب ا نفي ما نصه: « قلت: أرأيت لو قيل أين ا تعا ؟ فقال- أي أبو حنيفة-: يقال لـه كان ا تعا ولا مكان قبل أن لق ا لق، وكان ا تعا و يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء » أ.هـ..[٨٢]

فانظر رعاك ا إ قول وفهم السلف ومدى افترائهم عليهم، والتقول عليهم ـا يقولوا.

---

(٨٠) الفرق بـ الفرق لأ منصور البغدادي (ص٣٣٣).

(٨١) الفرق بـ الفرق لأ منصور البغدادي (ص٣٣٣).

(٨٢) الفقه الأبسط ضمن موعة رسائل أ حنيفة (ص ٢٥).

القاعدة ا امسة: ا كم وا تشابه

عرفوا الظاهر وا ؤول، وأطالوا فيه، ولكن غايتهم النهائية هي الوصـول إ طريقـة تنع ا التأويل با ع الذي يقول به علماء ا ق، وهذا هو السبب الرئيسي الذي دفعهم إ إنكار ا از.

وينص الشيخ على قاعدة كلية لديه فيقول: «وما من شيئ إلا و تمعان شـيء ويفترقان شيء» [٨٣] اهـ. وهذه القاعدة يطبقها على يع الأمور ح يطبقها ب ا تعا و لوقاته، والأصل إراد م عند إطلاق مثل هذه القاعدة فلا اثل، فهو إذن ب أن الف الذين جزموا بالتباين التام ب حقيقة ا الق وا خلوق، ومذهبه هو ع مـذهب التشبيه لا التمثيل.

وقد ذكر الشيخ مذاهب ثلاثة معا التأويل قال: « ... الثالث من معا التأويل هو ا قيقة ال يؤول إليها الكلام كما قال تعا : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله، يـوم يـأ تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا با ق ﴾ [٨٤].

قال بعد كلام: « إذا عرفت ذلك فتأويل ما أخ ا به عـن نفـسه ا قدسـة [ا تصفة] ا ا من حقائق الأ اء والصفات هو: حقيقة نفسه ا قدسة ا ا من حقـائق الصفات، وتأويل ما أخ ا به من الوعد والوعيد. و ذا ما ـئ ا ـديث نعمـل حكمه ونؤمن تشا ه »[٨٥].

إ هنا نقول للشيخ و ن يعا نؤمن بالكتاب كله كمه ومتشا ه وا لاف ليس الإ ان به، بل ديد ا ع الذي تدل عليه النصوص ا تشا ة وما أقلها!!

وقد عرّف أهل السنة ا كم بأنه: ما كان راجح الدلالة بنفسه أو ما نزل م لته من ا ؤولات تأويلا قريبا لا يصعب إدراكه على العامة فضلا عن ا اصة. وا تشابه ما لـيس كذلك.

وهذا واضح أ الوضوح من آية آل عمران ﴿ فأما الذين قلو م زيغ فيتبعون مـا تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ... ﴾ الآية فا تشابه الذي هو مقابل ا كم هو ما

---

(٨٣) التدمرية ص١٠٧ ط. العبيكان.
(٨٤) التدمرية ص ٩٢ ط. العبيكان.
(٨٥) التدمرية ص٩٦ ط. العبيكان.

ذكرناه وكفى بآية آل عمران دليلا عليه وإنذارا ن يبتغون الفتنة!

أما التشابه ا ذكور آية الزمر ﴿ا نزل أحسن ا ديث كتابا متشا ا مثا تقشعِر منه جلود الذين شون ر م ... ﴾ الآية فالتشابه هنا معناه أن آياته كلها يشبه بعـضها بعضا ا سن والبلاغة والإعجاز ... إ آخر صفات القرآن العظيم.

فانتقل الشيخ إ التصريح التام بتشبيه ا لقه وإثبات قدر مشترك من التشابه الصفات بـ ا وخلقه ومثل لذلك بعد كلامه باستواء ا على عرشه !:

يقول الشيخ: « لأن **ما أخ ا به عن نفسه** وعن اليوم الآخر فيه ألفاظ متـشا ة **تشبه معانيها ما نعلمه الدنيا**، كما أخ أن ا نة ما ولبنا وعسلا ومـاء و ـرا و و ذلك، وهذا يشبه ما الدنيا **لفظا ومع ولكن لـيس هـو مثلـه** ولا حقيقتـه كحقيقته.

فأ اء ا تعا وصفاته أو - وإن كان بينها وبـ أ اء العباد وصفا م تشابه- أن لا يكون لأجلها ا الق مثل ا خلوق ولا حقيقته كحقيقته.

والإخبار عن الغائب لا يفهم إن يع عنه بالأ اء ا علومة معانيها الشاهد ويعلم ا **ما الغائب بواسطة العلم ا الشاهد** مع العلم بالفارق ا ميز ... » [٨٦].

ضرب مثلا بالاستواء وأقوال مالك وربيعة وغ ا ا يوضح بأن مراده بالصفات هو الصفات العينية أي صفات الأجسام كما سبق له تعريفها.

وأقول رعاك ا : إنه من هذه النصوص نستنتج أنه نعه التأويل وإثباته أن ما مـن شيئ إلا و تمعان شيء ويفترقان شي، فإذا كان التفويض نوعاً لديه، والتأويـل نوعاً، فما الذي بقي سوى التشبيه، الذي صرح به و فِه كما رأيت ونافح عنه.

وإليك أقوالاً للسلف تنفي التشبيه.

قال الإمام ا افظ الفقيه أبو جعفر أ د بن سلامة الطحاوي ا نفي (٣٢١هـ ـ) رسالته (العقيدة الطحاوية) ما نصه: «وتعا - أي ا - عن ا دود والغايات والأركـان والأعضاء والأدوات، لا ويه ا هات الست كسائر ا بتدعات » أ.هـ..

وقال ا افظ مد بن حبان (٣٥٤ هـ) صاحب الصحيح ا شهور بـصحيح ابـن

---

(٨٦) التدمرية ص٩٧ ط. العبيكان.

حبان ما نصه: «ا مد الذي ليس لـه حد دود فيحتوى، ولا لـه أجل معـدود فيف ، ولا يط به جوامع ا كان ولا يشتمل عليه تواتر الزمان» [٨٧].

فهذه أقوال السلف تنفي التشبيه با دود والغايات والأركان والأعـضاء والأدوات وا هات بل وأي صفة من صفات ا بتدعات أي ا خلوقات فكيف وز عبار م السالفة، أليس ذلك افتراء على السلف؟

---

(٨٧) الثقات (١/ ١).

القاعدة السادسة: قواعد عامة الإثبات والنفي

قال صاحب التدمرية : « القاعدة السادسة: أن لقائل أن يقول: لابد هذا البـاب من ضابط يعرف به ما وز على ا ا لا وز، النفي والإثبات إذ الاعتماد هـذا الباب على رد نفي التشبيه أو مطلق الإثبات من غ تشبيه ليس بسديد، وذلك أنه مـا من شيئ إلا بينهما قدر مشترك وقدر يز.

فالنا إن اعتمد فيما ينفيه على أن هذا تشبيه، قيل له: إن أردت أنه اثل له من كل وجه فهذا باطل، وإن أردت أنه مشابه له من وجه دون وجه أو مشارك لـه الاسـم، لزمك هذا سائر ما تثبته.

وأنتم إ ا أقمتم الدليل على إبطال التشبيه والتماثل الذي فسر وه بأنه ـوز علـى أحد ا ما وز على الآخر و تنع عليه ما تنع عليه، و ب له ما ب له. ومعلـوم أن إثبات التشبيه ذا التفس ا لا يقوله عاقل يتصور ما يقول، فإنه يعلم بـضرورة العقـل امتناعه، ولا يلزم من هذا نفي التشابه من بعض الوجوه كمـا الأ ـاء والـصفات ا تواطئة، ولكن من الناس من عل التشبيه مفسراً ع من ا عا ، إن كل من أثبـت ذلك ا ع قالوا إنه مشبه، ومنازعهم يقول: ذلك ا ع ليس من التشبيه » اهـ(٨٨).

كن القول بأن هذه القاعدة، من أخطر القواعد ال ذكرها هذا الكتاب.

لقد ذكر بداية كلامه أنه ما من شيئ إلا بينهما قدر مشترك وقدر يز، وهـذه قاعدة عامة عنده، وأقصد بالعموم أي صدقها عند تطبيقها علـى ا ـالق وا خلـوق، وا خلوق وا خلوق، فهي تعم كل شيئ ، وقد يتوهم بعض الغافل أنه ما أراد ـا إلا الكلام فيما ب ا خلوق وا خلوق، وقد يتوهم بعض القراء إرادته ذا ا ع فقط، لأنـه يريد ا العموم با ع الشامل للخالق وا خلوق، وذلك أن سياق العبارة عام، ولـذلك استخدم كلمة شيئ وهي مفرد شيء، الصادقة على كل موجود، ومعلوم أن ا موجود، وكذلك وضع هذه الكلمة صورة التنك سبقها بالنفي لتعم يع ما تصدق عليـه، وأصل ال اع بينه وب غ ه أ م يفردون ا تعا قيقة متميزة مغايرة لكل ا خلوقـات من يع ا هات ا قيقية، وهو ينفي ذلك، فلذلك ساق هذه العبارة ال يعت ها قاعـدة

---

(٨٨) التدمرية ص١١٦-١١٧ ط. العبيكان.

هنا، لأن الأمر فيه تشبيه و يز، ففيه اشتراك واختلاف.

فالقول بالتماثل باطل، والقول بالاختلاف وعدم التشابه أيضاً باطلٌ عنده، وسـبب البطلان هو وجود التشابه قدرٍ مع ب ا تعا وب ا خلوقات.

فقوله مب على الوهم والتصور وا قايسة، لأن الـوهم إ ـا يتعامـل مـع صـور ا سوسات، وحيث إنه لا تدركه سبحانه وتعا الأوهام، ولا ينبغي قياس الغائب علـى الشاهد حق ا وكل ا غيبات لأننا لا نعلم حقيقتها لأن ا قائق تلف ب لموقـات الدنيا والآخرة، فما بالك بالاختلاف ب ا الق وا خلوق.

وحسبنا من أدلة نفي التشبيه:

أ- قوله تعا : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ فالنفي الآية الكر ة مسلّط على كاف التشبيه فالآية نص صريح قاطع نفي التشبيه عموما وبأي درجة وكـذا التمثيـل بالتا لأن ا ثلية حالة خاصة من التشبيه وهي التشبيه التام الكامل من كل وجه.

ب- قوله تعا ﴿و يكن له كُفُوا أحد ﴾ معناه: يكن له مثل ولا عـدل ولا شبه.

ج- ورد ا ديث الصحيح سبب نزول سورة الإخلاص قوله ﷺ : « ... و يكن له كُفوا أحد قال: يكن له شبه ولا عدل وليس كمثله شيء » فهذا نص من رسول ا ﷺ عموم نفي التشبيه.

وقد سبق نقل اذج من أقوال السلف نفي التشبيه وذمه والتحذير منه.

ويترتب على عموم نفي التشبيه كما قلنا نفي ا ثلية وكذا نفي التجسيم تعا ا عن ذلك علوا كب اً.

وا سم عند هور أهل ا ق هو ا تحيز الطويل العرض العميق، وهذا القدر من ا قيقة ا سمانية متفق عليه عند أغلبهم وذهب بعض علماء السنة إ أنه ا ركـب من جزئ فصاعدا، فكل ما ثبت فيه التحيز والتركيب – كمـا يـزعم صـاحب التدمرية- فهو جسم عند هؤلاء وأولائك ويؤيده ما سبق نقله عن الإمام أ د بـن حنبل: « إن الأ اء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الإسـم –

يع ا سم- على ذي طول وعرض و ك وتركيب وصورة وتأليف، وا سبحانه وتعا خارج عن ذلك، و ئ الشريعة ذلك أ.هـ

قلت: بل جاء نصوص القرآن العظيم ما يفيد أن ا سمية هي دليل ا ـدوث والاحتياج إ خالق قال تعا : ﴿ إن خلق السموات والأرض .. ﴾ إ قولـه ﴿ لآيات لقوم يعقلون ﴾ سورة البقرة، وإ قوله ﴿ لآيات لأو الألباب ﴾ سورة آل عمران، وهو تصريح بأن من يستدل بتركيبها وجـسميتها علـى حـدوثها وإمكا ا وعلى وحدة خالقها عز وجل ووجوب وجوده فليس من أو الألباب ولا هو من قوم يعقلون. وقال سبحانه ﴿ ا مد الذي خلـق الـسماوات والأرض ﴾ وقال ﴿فاطر السماوات والأرض﴾ وفيه: أ ا أجـسام ومركبـات و جـسميتها وتركبها الدلائل الواضحة للعقلاء على أنه لابد ا من فاطر فطرها وخالق خلقها.

وعلى ذلك سار الرسل يعا الدعوة إ ا ﴿ قالت رسلهم أ ا شـك فاطر السماوات والأرض ﴾ ؟!

واحتج إبراهيم ا ليل ﷺ بأفول الكواكب وحركتها وانتقا ا على نفي ألوهيتها ترقى بقومه الاحتجاج إ درجة أعلى فقال ﴿ إني وجهت وجهي للذي فطـر السماوات والأرض ﴾ الآية وليست جهة الاستدلال هذه ا رة الأفول السابق، فإن السماوات والأرض حاضرة ظاهرة أمام أعينهم، بل جهة الاستدلال الوحيـدة **أ ـا أجسام** و اقتصار ا ليل عليه الصلاة والسلام والرسل قبله وبعـده علـى ذكـر السماوات والأرض الدلالة الواضحة على أن ا جة على الكافرين إ ا هي سميتها ولوازم تلك ا سمية، وأن الأمر لا تاج إلا إ لفت الانتباه فقط، ولـو كـان الأجسام ما يصح أن يكون قد ا غ حادث (غ لوق) لوجد الكفرة من يـرد على ا رسل حجتهم هذه.

قال سبحانه منكرا على ا شرك ﴿ أم خلقوا من غ شيء أم هم ا القون. أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون ﴾ فاستفهمت على سـبيل الإنكـار ، و يذكر هذه ا خلوقات حركة وانتقالا ولا صفة ولا حالا بل أ بضم الناس وهو

الواو (خلقوا) وبلفظ السماوات والأرض أي أنه لابد للسماوات والأرض مـن خالق وهو ا سبحانه و رؤ أحد منهم على إدعاء أن السماوات والأرض قد ـة منذ الأزل ولا تاج إ خالق، وهو تعا يقول ﴿ ما أشهد م خلـق الـسماوات والأرض ولا خلق أنفسهم ﴾ فهو سبحانه ينكر عليهم إلا ا أودعـه الفطـرة البشرية من أن كل ما هو جسم فهو حادث (لوق) تاج إ محدِثْ (خالق) م ه عن ا سمية ولوازمها أي أ ا قضية بدهية لا تاج إ برهان.

فكيف يدعي صاحب التدمرية إثبات صفات الأجسام سبحانه، من التحيـز وا هة والتركيب وا ركة والانتقال يصف من ينفى هذه النقائص عن ا بأنـه يسلك طريقا فاسدا: « يسلكه أحد من السلف والأئمة. فلم ينطق أحد منـهم حق ا تعا با سم لا نفيا ولا إثباتا ولا با وهر والتحيز و و ذلك لأ ا عبارات ملة لا ق حقا، ولا تبطل باطلاً، و ذا يذكر ا   كتابه فيما أنكـره علـى اليهود وغ هم من الكفار ما هو من هذا النوع، بل هذا هو من الكلام ا بتدع الذي أنكره السلف والأئمة » أ.هـ [89].

وقد رأينا آنفا بعضا من كلام السلف والأئمة –الإمام أ د بن حنبل- ورأينـا هدى القرآن هذا ا وضوع، وكان قد سبق أول قاعدته السادسة إ إدعاء **عدم اثل الأجسام**[90] ع أن بعضها حادث كما مر وبعضها ليس ادث وعليه فـلا ب نفي صفات الأجسام عن ا باستخدام الأدلة العقلية ولا تطبق أدلـة الت يـه ا عروفة وقد رأينا آيات القرآن واستدلالات الرسل ما يوضح هذه النقطة، ونقول: كون الأجسام متماثلة   ام ماهيتها فهذا صحيح قطعا وقد سبق تعريف ا سم[91] وما كان جسما فما جاز عليه لذاته فهو جائز حتما على كل الأجسام وهذا حكـم قطعي لا ال للتوقف ولا للشك فيه.

---

(89) التدمرية ص١٣٥-١٣٦ ط. العبيكان.

(90) التدمرية ص ١٢١ فما بعدها ط. العبيكان.

(91) حاول صاحب التدمرية أن يفسر ا سم بالقائم بنفسه أو با وجود ح يشملا ا الق وا خلوق معـا و ـا تفسـ ان غ صحيحان وغ معتمدين عند أهل السنة.

و ا ديث الصحيح عن أ ابن كعب أنه ا نزلت سورة الإخـلاص جوابـا للسائل عن نسبة الرب سبحانه قال ﷺ « ليس شيء يولد إلا سيموت وليس شيء وت إلا سيورث وا عز وجل لا وت ولا يورث ... » ا ديث.

رؤ السائلون – وهم غ مسلم - على أن يردوا بأن هذا حكم على مـا شاهدناه ا خلوقات فقط ولا تسري هذه القاعدة عند ا ديث عن ا الق فليست الأجسام أو حقائق الأشياء متماثلة حسب زعم صاحب التدمرية !!

بل نقول: القواعد العلمية للاستدلال والاستنباط ثابتة وسارية وإلا ا قام دليـل عقلي واحد.

ونكتفي ذا مناقشة صاحب التدمرية هذه القاعدة ونش إ أنه ايتها اعترف حق ا سبحانه بأنه «لا وز أن تكون حقيقته كحقيقـة شـيء مـن ا خلوقات ولا حقيقة شيء من صفاته كحقيقة شيء من صفات ا خلوقات فـيعلم قطعا أنه ليس من جنس ا خلوقات...

بل يعلم أن حقيقته عن اثلة شيء من ا وجودات أبعد من سائر ا قـائق وأن اثلته لشيء منها أبعد من اثلة حقيقة شيء من ا خلوقات قيقة لوق آخر، **فإن ا قيقت إذا اثلتا جاز على كل واحدة ما وز على الأخرى ووجب ـا مـا وجب ا...**

فيلزم أن وز على ا الق القد الواجب بنفسه ما وز على ا دث ا خلوق من العدم وا اجة وأن يثبت ذا ما يثبت لذاك من الوجوب والغ .... »[٩٢] أ.هـ ـ ا قصود منه .

فهو ذا قد هدم ما بناه كل كتابه وأسسه من قواعد التشبيه والتجسيم.

وإليك بعضًا من أقوال السلف:

قال البيهقي: (أخ نا) أبو عبدا ا افظ قال عت أبا مد أ د بن عبدا ا ـز يقول حديث ال ول قد ثبت عن رسول ا ﷺ من وجوه صحيحة وورد الت يل مـا

(٩٢) التدمرية ص١٤٤-١٤٥، ط. العبيكان.

يصدقه وهو قوله تعا ﴿ وجاء ربك وا لمك صفا صفا ﴾ وال ول وا يء صفتان منفيتان عن ا تعا من طريق ا ركة والانتقال من حال إ حال بل ا صفتان من صفات ا تعا بلا تشبيه جل ا تعا عما تقول ا عطلة لصفاته وا شبهة ا علوا كـ ا قلـت: وكان أبو سليمان ا طا ر ه ا يقول إ ا ينكر هذا وما أشبهه من ا ديث من يقيس الأمور ذلك ا يشاهده من ال ول الذي هو تدل من أعلى إ أسفل وانتقال من فوق إ ت وهذه صفة الأجسام والأشباح فأما نزول من **لا تستو عليه صفات الأجسام** فإن هذه ا عا غ متو ة فيه وإ ا هو خ عن قدرته ورأفته بعبـاده وعطفـه علـيهم واستجابته دعاءهم ومغفرته م يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البص [٩٣].

(وأخ نا) أبو بكر أ د بن مد بن ا ارث الفقيه أنبأ أبو مد بن حيان ثنا إسحاق بن أ د الفارسي ثنا حفص بن عمر ا هرقا ثنا أبو داود وهو الطيالسي قال كان سفيان الثوري وشعبة و اد بن زيد و اد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا دون ولا يشبهون ولا ثلون يروون ا ديث ولا يقولون كيف وإذا سئلوا أجابوا بالأثر.

بل إن التمايز والتغاير ا قائق ب ا الق وا خلوق، هي القاعدة الك ى ال يب عليها أهلُ ا ق أصولَ دينهم، فقد قال تعا ﴿ لَـيس كَمِثْلِـهِ شَـيءٌ وهـو الـسمِيع الْبصِ ﴾[٩٤] و يقل سبحانه ليس مثله شيء، فجاءت الكاف لنفي شبيه ا ثل، وإذا كان ا ثل مستحيلاً فشبيهه أشد استحالة. لاف ا شبهة الذين يبنون عقائدهم على التـشبيه والاشتراك كما يفعلون.

(٩٣) السنن الك ى للبيهقي (٢/٣).

(٩٤) سورة الشورى، الآية ١١.

القاعدة السابعة: السمع والعقل

إن كثـ اً ـا دل عليه السمع يدلّ عليه العقل أيضاً، ولكن هؤلاء إ ا يتكلمون علـى هذا ا ع مريدين أمراً واحداً فقط، وهو تشبيه و سيم وإثبات للحد وا هـة وحلـول ا وادث وغ ذلك، ويدعون أن السمع قد جاء بذلك وأثبته، فإن منزِلَ الكتاب الـذي تكلم على نفي الولد والصاحبة والوالد والبخل عن ا تعا ، قادر أن يثبت ا هة وا يز وا كان والأعضاء وحلول ا وادث بذاته ولو كان ا حقيقة أو وجود – صراحة وبشكل مباشر واضح كما حدث إثبات التوحيد ونفي الشريك والشبيه والكفؤ وإثبات القدرة والعلم، مع أن النص العام الكلي على عدم مشا ة ا تعا لشيء من خلقه كافٍ نفي يع ما يدعونه.

قال صاحب التدمرية فيمن عارضه من ا ه : « هؤلاء لا يقبلون الاسـتدلال بالكتاب والسنة على نقيض قو م لظنهم أن العقل عارض السمع وهو أصله فيجب تقد ه عليه »[٩٥]. اهـ.

فهو قول غ صحيح؛ لأنه لا يوجد أحد من أهل ا ق يرضى أن يرد ما ثبت قطعـاً معناه بالكتاب والسنة.

وإ ا نرد قو م بالتشبيه والتجسيم ولو كان ما يدعونه ثابتاً بالكتاب والسنة ا وسع علماء السلف إنكار ذلك كما جاء التمهيد بأكمله.

وزيادة ا غالطة يقولون: إن كل صفة كمال يتصف ا ا خلوق فا الق أو ا، وبطلان هذا القول واضح بين، فصفة الولد والوالد كمال للمخلوق، فهل ترى ا و أو ا؟ على حد زعمهم!.

واستمر صاحب التدمرية على جه اولة إثبات ا سمية والتركيب بالأدلة العقلية –حسب فهمه- فقال: «ا ل الذي لا يقبل الاتصاف با ياة والعلم والقـدرة والكـلام و وها، انقص من ا ل الذي يقبل ذلك و لو عنها، و ذا كان ا جر و وه أنقص من ا ي الأعمى ... »[٩٦] إ وعلى ذلك ملاحظات :

---

(٩٥) التدمرية ص١٤٨ ط. العبيكان.

(٩٦) التدمرية ص١٥٩ ط. العبيكان.

الأو : أنه نب ذكر صفات الأجسام مثل اليد والقدم والساق والعـ والـ ول وا لموس ... إ مع أن كتابه كله سيق من أجلها !!!

الثانية: يريد الشيخ أن يقول إننا بتـ يه ا سبحانه عن صفات ا سمية ولوازمها من التحيز وا هة ومباينة العا أو الدخول فيه بقولنا أن هذه الصفات منافيـة للألوهيـة ولا كن أن يتصف الإله ا قد جعلناه أنقص – حسب تعبـ ه – وأقل الدرجة من الإلـه الذي تقوم به صفات ا سمية ولوازمها، وكذا أنقص من الإله الذي كن أن يتصف ا حـ وإن تقم به !

الثالثة: يتبـ لنا بعيدا عن ا هاترات سخافة هذا الـ هان بقراءة سورة الإخلاص وأن ا سبحانه ﴿ يلد﴾.

الرابعة: نعود إ نفس السؤال من قال إن ا سمية ولوازمها صفات كمال مطلق ؟! خاصة وأن الشيخ قد اعترف أن حقيقة الإله تلف كلية عن حقيقة لوقاته.

وإليك بعضًا من أقوال السلف:

قال ا افظ مد بن حبان (٣٥٤ هـ) صاحب الصحيح ا شهور بصحيح ابن حبان ما نصه: «وا جل وعلا يتكلم كما شاء بلا آلة كذلك يـ ل بلا آلة ولا رك ولا انتقال من مكان إ مكان ز أن يقال ا يبصر كبصرنا بالأشفار وا دق والبياض بل يبصر كيف يشاء بلا آلة ويسمع بلا أذ وصماخ والتواء وغضاريف فيها بل يسمع كيـف يشاء بلا آلة وكذلك يـ ل كيف يشاء بلا آلة أن يقاس نزوله إ نزول ا خلوق كمـا يكيف نزو م جل ربنا وتقدس من أن تشبه صفاته بشيء من صفات ا خلوق »[٩٧].

وقال أيضاً تعليقاً على حديث:" أنس بن مالك عن النـ ﷺ قال يلقى النـار فتقول هل من مزيد حـ يضع الرب جل وعلا قدمه فيها فتقول قط قط".

قال أبو حا (ابن حبان): « هذا ا من الأخبار الـ أطلقت بتمثيل ا اورة وذلك أن يوم القيامة يلقى النار من الأمم والأمكنة الـ عصي ا عليها فلا تزال تستزيد حـ يضع الرب جل وعلا موضعاً من الكفار والأمكنة النار فتمتلىء فتقول قط قط تريـد حسـ حسـ لأن العرب تطلق لغتها اسم القدم على ا وضع قال ا جل وعلا م قدم

---

(٩٧) صحيح ابن حبان ٣/٢٠٠.

صدق ر م يريد موضع صدق لا أن ا جل وعلا يضع قدمه النار جل ربنا وتعا عن مثل هذا وأشباهه » [٩٨].

فانظر ر ك ا كيف ي ه السلف ا سبحانه وتعا عن أن تشبه صفاته صفات ا خلوق ، فأي قول م بعد هذا، وكيف تستقيم دعواهم بأن هذا هو مذهب السلف.

(٩٨) صحيح ابن حبان ٥٠١/١.

ا ا ة

تعرضنا فيما سبق للشق الأك من شبهات كتاب التدمرية وا ختصة وضوع الت يه والصفات الإ ية ا قدسة فناقشناها ضوء كلام السلف الصا ا ستمد مـن الكتـاب والسنة و نتعرض للشق الثا الكتاب وا اص بتوحيد الألوهية والربوبية والعبادة ... إ والذي فضلنا أن يكون له كتاب مستقل ول ا وقدرته لتمايز ا وضوعات.

وهذا الشق: (الت يه والصفات الإ ية ا قدسة) من أخطـر موضـوعات العقيـدة الإسلامية عند الأجيال الأخ ة من ا سلم فهي س أخطر موضوعات العقيـدة علـى الإطلاق ألا وهو الكلام على الذات الإ ية ا قدسة و اولة البعض ت ذرائع تلفة جر الأمة إ هاوية سحيقة ما ا من قرار: هاوية اولة يل الذات الإ ية وتصورها ومعرفـة كنهها وحقيقتها).

وكما نعلم يعا فإن العقل البشري لا يط علما ولا يتصور ولا يتخيل إلا ما جلبته إليه أدوات حسه من صور مرئية أو مسموعة أو ملموسة أو مشمومة أو ... إ .

فا نجرف إ هذه ا اوية واقع حتما سيم الذات الإ ية و ثيلها وتشبيهها ـا اختزنه خزانة ا يال برأسه – مراكز الذاكرة با خ- من صور ا خلوقات ال مر ا حياته، فيكون بذلك قد وقع ا ظور الذي ت عنه آيات الكتاب: ﴿فلا تـضربوا الأمثال﴾ ﴿فلا علوا أندادا﴾ وكذا هدى رسول ا ﷺ الذي انا عـن التفكـر الذات وحقيقتها ودعانا للتفكر آلاء ا الق وبديع صـنعه ودلائـل عظمتـه، أي أن ا خالف ذا الأمر واقع الشرك كيف وقد نبهنا القرآن إ ذلك نصا فقال ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ والأبصار كما هي ع بصر فهي أيضا ع بصـ ة فهي تشمل هذا وذاك أي لا تدركه العقول وقال سبحانه ﴿ولا يطون به علما ﴾ وهل هناك إدراك أو إحاطة أكثر من زعمهم – تعا ا عن ذلك- أن ا له حد من يع ا هات وحجم وحيز ويتركب من أعضاء وأجزاء تقوم بوظائف وأعمال أثبتها ا سبحانه لنفسه !!!

وقد تناسى هؤلاء أن اليهود ا زاغوا أخذ يصفون ا بالصفات ا ـسية ويـسألون كيف عضده وكيف ذراعه ويقدرونه ف ل القرآن يصنفهم مع ا شرك الذين وجهـوا اهتمامهم إ معرفة كنه حقيقة الإله وهل هو من ذهب أم من فضة أم غ ذلك، (كمـا

سبق   مقدمة الكتاب) ولو   ثوا عن دلائل عظمته وقدرته واستحقاقه للعبودية لاهتدوا ور وا   الدنيا والآخرة، لكنهم ضلوا الطريق فسقطوا   هاوية الشرك وصدق ا ﴿ومن يشرك با   فكأ ا خر من السماء فتخطفه الط   أو وى به الريح   مكان سحيق﴾.

فما ذكرناه   ثنايا الكتاب هو لفت للإنتباه إ   بساطة ووضوح دلائل التـ يه القاضية على قواعد التشبيه بعيدا عن مصطلحات علم الكلام الـ   لا يتقنها ا مهور مع اذج من كلام السلف دالة على فضلهم ورفعة قدرهم وبراءة ساحتهم ا ألصق م زورا.

فعليك أن تعلم أخي القارئ أن حقيقة ا و   سبحانه وتعـا   تلفـة عـن بقيـة ا خلوقات، فلا تشبيه ولا ثيل، ومن حاول إفهامك بأن هذا هو مذهب السلف، فاحذر قوله، فقد نقلنا لك اذج من أقوا م.

وأعود وأكرر وأنصح لوجه ا   لصاً، فأقول: إن الأسلم للعوام غ ا تخصص العلوم الدينية هو إمرار النصوص ا و ة للتشابه ا سمي (ا سي) كما جاءت مع فهمها فهماً إ الياً لا تكييفياً، وليتمسك بقول ا   تعا   ﴿ليس كَمِثْلِهِ شـيءٌ وهـو الـسمِيع الْبصِ ﴾[99]، وبقوله ﷺ : « تفكروا   خلق ا   ولا تفكروا   ا   فإنكم لـن تقـدروا قدره».

وصلى ا   على سيدنا   مد وعلى آله وصحبه وسلم

وا مد   رب العا

([99]) سورة الشورى: الآية١١

ا تويات

ا وضوع	الصفحة

هذا الكتاب

يعرض هذا الكتاب للشق الأول من أخطر قضية عقيدية تعرض ا هور ا ـسلم أجيا م الأخ ة وهذه القضية تشتمل على ورين أساسي .

الأول: التشبيه والتجسيم و اولة تفس نصوص الكتاب والسنة ا يوهم ذلك مـع زعم أن هذا هو فهم السلف وهو ا ور الأك .

الثا : تقسيم التوحيد إ توحيدي ربوبية وألوهية.

و ذا التقسيم والفصل رج هور ا سلم (الأغلبية الساحقة من ا سلم) مـن الإسلام.

وقد تعرض الكتاب للشق الأول والأك حجما والأكثر شبها القضية نسأل ا أن تأتلف قلوب أهل الإ ان على العقيدة الصافية النقية.